

٢ القسم الثانى

نحو تطوير منظومة التعليم

• تمهيد.

• دور منظومة التعليم فى مقابلة تجليات عصر العولمة.

• منظومة التعليم وأخلاقيات العولمة.

• منظومة التعليم المدرسى فى مقابلة صدمات المستقبل بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

• منظومة تعليم الموهوبين فى عصر التميز والإبداع.. إلى أين؟.

• دور الثقافة العلمية والتقانية فى تنمية مخرجات منظومة التعليم، بما يتوافق مع متطلبات عصر العولمة.

• الجدوى الاقتصادية لتعريب التعليم الجامعى فى عصر العولمة.

مهم:

بادئ ذي بدء، ينبغي تأكيد أن التعليم هو الطريق الطبيعي لبناء مستقبل الفرد والمجتمع، على حد سواء، وذلك ما يوضحه الحديث التالي:

من المهم التحدث عن المستقبل وعن التحديات التي تواجهنا لرسم معا خطواتنا نحو المستقبل. بمعنى؛ لا بد لنا في البداية من وقفة مع النفس نواجه فيها أنفسنا بالحقيقة، فنحن الآن نعيش عصرا تسيطر عليه قوى جديدة تدير اللعبة وتحكم في قواعدها، ونحن كعرب لا نملك استراتيجية واضحة للتعامل مع قواعد تلك اللعبة وليس لدينا سياسة موحدة لمواجهةها، ولا نملك القدرة المعرفية التي نجمعها من واضعي قواعدها. وإن كنا قد اخترنا طريق المستقبل لأنه اختيار حتمي فلا بد لنا من الاستعداد لهذه الرحلة. يجب أن نعد العدة وأن نؤمن أنفسنا ونحصن أبنائنا ونتدرب على مهام المستقبل... وكما يقول الدكتور حسين كامل بهاء الدين: إن رحلة المستقبل تقتضى منا بوصلة ومشكالا... لأن عالم الغد لا يخضع للمقاييس والرؤى الخطية أو القوالب الجامدة، وإنما يتميز بالتشابك والتعقيد الذي يصل إلى حد الفوضى والتداخل الذي يؤدي إلى الارتباك.

لا بد أن نواجه أنفسنا.. هل نريد أن نكون منافسين ومشاركين ولنا إرادة أم مهمشين ومتفرجين ولا حول لنا ولا قوة؟ وما العمل؟

ولكى نضع جوابا شافيا لهذه التساؤلات لا بد وأن نعي أن العالم المتقدم قد استطاع أن يتطور سريعا من خلال مجموعة من القيم والأساليب أصبحت هي الركائز الأساسية للتطور والتقدم. فالعالم اليوم يتجه للاقتصاد الحر وبذلك تقلص دور الحكومات وانتقل جزء كبير من مسؤوليتها للقطاع الخاص والمجتمع المدني، وهنا يأتي دور رجال الأعمال في أعداد القوى البشرية لمواجهة المستقبل. وفن الموارد من أهم العناصر لنجاح أى عمل، وأهم هذه الموارد هو الوقت فهو قيمة اقتصادية، وقيمة تقدم وقيمة حضارية، والاتقان في العمل قيمة من قيم التقدم والتميز، لا بد من التدريب المستمر فيها، من أجل تنميتها لتكون مجتمعا قادرا على المنافسة.أيضا، تقديس العلم واحترام التعليم قيمة أخرى، فمشارك الحياة تحمس لصالح من درس وخطط واستثمر ذكائه واجتهد فوجد.

وعلى الصعيد العالمي يجب أن نستفيد من التغيرات المستقبلية، فسيطرة القطب الأعظم على العالم وضع يجب أن نتعامل معه بواقعية وبمقلاتية، فما يمكن علاجه نتحمله وما يمكن الوقاية منه يجب أن نتداركه. لا بد أن يكون اتصالنا بالقطب الأعظم في إطار عقلاني يركز على المصالح المشتركة والتطورات المستقبلية وإقامة جسور التفاهم والحوار مع العقلاء والمفكرين منهم، وإيجاد محاور عمل مشترك تصل بنا جميعا إلى السلام.

ومن أجل تغيير موقعنا على الخريطة علينا عبء آخر هو بناء قوتنا الذاتية، وأول هذه القوى هي الثروة البشرية. فالإنسان عنصر أساس في التنمية الدائمة، وهو هدفها -أيضا- ولا بد أن تكون هذه التنمية تنمية شاملة تكنولوجية واجتماعية وثقافية واخلاقية. فالإنسان هو الثروة الحقيقية لأي أمة، فقد صنعت الثروة البشرية في عصر الفراعنة أكبر وأعرق حضارة في العالم. وعملية تطوير التعليم لها مجموعة من الآمال والاهداف الكبرى، أولها: تكافؤ الفرص الذي نحرص على تطبيقه، ويستلزم استكمال البنية الأساسية للمعرفة لمواجهة المنافسة العالمية، فنحن لا نملك حرية التعامل بمعايير محلية في سابقة عالمية، لذلك يجب القضاء على الأمية، فلا يمكن أن ننافس دون أن نستعين بهذه الشريحة من المصريين لننافس بكامل ثروتنا البشرية، والهدف الثاني: هو التوسع في التعليم لنصل إلى أكبر نسبة استيعاب لكل الاطفال ولنع التسرب من التعليم.

ولاشك أن مستوى التعليم يؤثر على فرص العمل المتاحة وعلى قدرة الإنسان الاقتصادية ومركزه الاجتماعي. والهدف الثالث: هو تحقيق مبدأ التعليم للتمييز والتميز للجميع. فمع سيادة نظام العولمة لابد وأن ندخلها فاعلين قادرين منافسين، لذلك فالتعليم للتمييز والتميز للجميع ليس شعارا، وإنما هو ضرورة بقاء وضرورة منافسة عالمية وأمن قومي فلا مكان في العالم الجديد للجهلاء أو انصاف المعلمين ولكن للتميزيين والمبدعين.. أما الهدف الرابع: فهو تحقيق مبدأ الجودة الشاملة الذي يتطلب أن ينجح نظام التعليم في تعظيم قدرة الإنسان على المشاركة في عملية التنمية. علينا أن نرتفع بكفاءة التعليم وتحسين جودته لتكون لدى أولادنا الخبرة والقدرة على مواجهة تحديات سوق العمل، فلا يستطيع أى اجنبي أخذ الفرصة منهم وإزاحتهم عن مصدر كسبهم. من أجل هذا يجب أن نأخذ بالتجارب والمفاهيم التربوية الجديدة للارتقاء بجودة التعليم والانتقال به من دائرة المحلية إلى آفاق أكثر شمولاً واتساعاً تخطو به بخطي واثقة نحو المنافسة العالمية، ومن أهمها الاعتماد التربوي، وهو نظام يتطلب مجموعة من الإجراءات يجب الالتزام بها واتباعها لضمان الجودة الشاملة. والهدف الخامس: هو تنمية الطفولة المبكرة، فقد ثبت علميا أن هناك عدة أنواع من الذكاء يولد بها الإنسان، ولا يمكن أن نقول أن أحد هذه الأنواع من الذكاء أكثر أهمية من الآخر. لذلك يجب أن نركز التعليم في هذه المرحلة على تنمية كل أنواع الذكاء مما يساعد على التنمية السوية لشخصية الطفل. وقد أظهرت الأبحاث أن أكثر من ٩٠٪ من الاطفال يمكن الوصول بهم إلى مرحلة التمييز إذا ما أعطي الواحد منهم الوقت الكافي والتعليم المناسب، ويعد الاستثمار في مرحلة الطفولة المبكرة الاستثمار الأمثل لأية أمة خاصة في عصر يقوم فيه الاقتصاد على المعرفة، ولكن يجب ألا يتم هذا الاستثمار على حساب حق الطفل في التمتع بطفولته واشباع حاجاته الطبيعية.

والحقيقة، إذا كان التعليم هو طريقنا نحو المستقبل، فإننا يجب ألا نسقط من حساباتنا العلاقة تبادلية التأثير بين التعليم والديمقراطية. فالتعليم أساس من أساسات التعريف بالديمقراطية، كما أن الديمقراطية ركيزة تفعيل التعليم بما يسهم في تحقيق أهدافه، وذلك ما يوضحه الحديث التالي:

لقد نجح (ريشارد هاس) مدير قسم التخطيط السياسى فى وزارة الخارجية الأمريكية فى محاضراته التى ألقاها فى مجلس العلاقات الخارجية فى واشنطن وذلك فى الرابع من ديسمبر ٢٠٠٢، نجح فى تجميع عدد من النقاط الأساسية التى تتعلق بالديمقراطية استقاها كما يقول من واقع الممارسة، وهى تمثل الولايات المتحدة الأمريكية إطارا مرجعيا قامت عليه من بعد مبادرة الشراكة الديمقراطية التى أعلن عنها كولن باول وزير الخارجية الأمريكية.

وها هو فى النقطة الرابعة من خبرات الممارسة يشير قضية معروفة، وإن كان يشتد الخلاف بين منظرى الديمقراطية حولها، وهو علاقة الممارسة الديمقراطية بالتعليم.

يقول (ريشارد هاس): «الديمقراطية تعتمد على شعب مطلع ومتعلم. التعليم يمكن الشعب من التعرف على حقوقه وعلى كيفية ممارستها. فالشعوب المتعلمة القادرة على اتخاذ قرارات تستند إلى معلومات تساعد الديمقراطية على التجذر. لقد حققت البلدان العربية تقدما بارزا فى تعزيزها القراءة والكتابة، لكنها قامت بجهود أقل فى إيجاد شعوب واسعة الإطلاع والقراءة».

والحقيقة أن الأنظمة التعليمية لا تعد الطلاب للنجاح فى القرن الحادى والعشرين، وفى هذا الصدد: يحدد عهد الحميد الأنصارى عميد كلية الشريعة فى جامعة قطر المشكلة بصورة مباشرة تماما: «إن قسما مهما من خطابنا التعليمى منقطع عن العلوم الحديثة، وهو قائم على نظرة ذات بعد أحادى مما يوجد عقلية مغلقة ومنحى سهلا باتجاه التعصب. فهى تزور مفاهيم خاطئة تتعلق بالنساء والأقليات الدينية أو الإثنية وتسيطر عليها أساليب الحفظ غيبيا والتكرارية».

التعليم يعنى أكثر بكثير من مجرد الذهاب إلى المدرسة. فالديمقراطيات المزدهرة تتطلب تقاليد المسائلة وليس الحفظ عن ظهر قلب».

وبعلق (السيد يسون) على حديث (هاس)، فىقول:

لو حللنا ما ذهب إليه ريتشارد هاس فيما يتعلق بالديمقراطية والتعليم لقلنا على وجه الأجمال أن أحكامه تتضمن حقائق ثابتة من ناحية وتعميمات جارية تنقصها الدقة من ناحية أخرى. وستقف وقفة نقدية أمام كل عبارة من العبارات التى صاغها بدقة ملحوظة.

– العبارة الأولى تقرر أن الديمقراطية تعتمد على شعب مطلع ومتعلم لأن التعليم يمكن الشعب من التعرف على حقوقه وعلى كيفية ممارستها. ونحن نوافق بشكل عام على هذه العبارة. ذلك أنه كلما زادت نسبة التعليم والإطلاع فإن ذلك يساعد المواطنين في التعرف على حقوقهم وكيفية ممارستها. غير أن هذا المبدأ النظري الذي لا خلاف عليه إطلاقاً يتجاهل مشكلات الممارسة السياسية في التطبيق. ذلك أنه ثبت تاريخياً أن انتشار التعليم في بلاد أوروبية مثل ألمانيا لم يمنع من قيام النازية، وهي مذهب شمولي مضاد للديمقراطية على طول الخط، كما أنه لم يمنع الفاشية وهي مذهب شمولي آخر أن تسيطر على إيطاليا وذلك في الثلاثينيات من القرن العشرين. ويمكن أن نضيف إليهما النزعة العسكرية العنصرية التي سادت اليابان الإمبراطورية في نفس الحقبة.

والسؤال هنا: لماذا لم يمنع التعليم قيام النازية والفاشية والنزعة العسكرية في كل من ألمانيا وإيطاليا واليابان. والإجابة أن التعليم شرط ضروري، وإن كان ليس كافياً لتحقيق الديمقراطية! إذ لابد من توافر شروط متعددة أخرى، أهمها – ولاشك – أن يؤدي نضال الشعوب في سبيل التحرر من هيمنة الأقلية أياً كانت دينية أو عسكرية أو طبقية أو سياسية إلى ترسيخ قواعد الديمقراطية عن اقتناع تام وتراض بين النخبة السياسية والجماهير العريضة، ويؤكد ذلك الدراسة التاريخية لنشأة وتطور النظام الديمقراطي.

وعلى ذلك يمكن القول إن التعليم وانتشاره بين الجماهير ليس عاصماً بذاته من نشوء نظم سياسية شمولية أو سلطوية.

– وإذا انتقلنا إلى العبارة الثانية المرتبطة بالأولى ارتباطاً عضوياً نجدها تقرر أن الشعوب المتعلمة قادرة على اتخاذ قرارات تستند إلى معلومات تساعد الديمقراطية على التجذر.

وأول ملاحظة نقدية هنا أن الشعوب ليست هي التي تتخذ القرارات، ولكنها النخب السياسية الحاكمة. وهذه النخب بحكم مصادر القوة المتعددة التي تمتلكها تسمح لها باتخاذ قرارات في السلم والحرب مضادة تماماً لمصالح شعوبها تحقيقاً لمصالحها الطبقية أو للمصلحة الاستراتيجية للدولة، كما تتطور في إدراك هذه النخبة في لحظة تاريخية ما، وقد يكون هذا سوء إدراك، وليس إدراكاً موضوعياً لتوازن القوى في لحظة ما.

ولو نظرنا ملياً إلى حالة الولايات المتحدة الأمريكية لوجدنا الإدارات الأمريكية المختلفة جمهورية كانت أو ديمقراطية في مجال السياسة الداخلية تخضع لتأثير جماعات الضغط وجماعات المصالح وتصدر تشريعات لمصلحة الأقلية من كبار رجال الأعمال الذين يمثلون الشركات العملاقة مما من شأنه أن يضر ضرراً بليغاً بمصالح الجماهير العريضة.

ولو ولينا وجهنا إلى القرارات في مجال الحرب لوجدنا أن الإدارة الأمريكية سبق أن اتخذت قراراً خطيراً أدى إلى تورط الولايات المتحدة في حرب فيتنام بزعم مكافحة الشيوعية

والحد من توسعها مما أدى في النهاية إلى ثورة الجماهير الأمريكية ضد الحرب، بعدما تساقط الآلاف من الجنود الأمريكيين وظهرت الهزيمة الأمريكية الساحقة في الحرب للعيان .

وينبغي ألا ننسى أبداً أن إشارة هاس إلى أن الشعوب المتعلمة قادرة على اتخاذ قرارات تستند إلى معلومات تتجاهل أن أجهزة الدولة الإيديولوجية لم تستخدمنا التعبير الشهير للفيلسوف الفرنسي الماركسي لويس التوسير- والتي تتضمن الإعلام بكل فروعه بل والتعليم نفسه قادرة على نشر الوعي الزائف بين الجماهير والتي لا حول لها ولا قوة في إطار المجتمعات الجماهيرية التي تسيطر على صناعة الإعلام فيها مؤسسات وشركات كبرى وثيقة الصلة بالنخب السياسية الحاكمة، بل هي بالأصح عنصر أساسي من عناصرها. ومن هنا يمكن القول إن الشرط الأساسي لتجذر أى ديمقراطية هو الشفافية الكاملة في مجال المعلومات فهى -بالإضافة إلى شروط أخرى مهمة- التي تسمح للجماهير بأن تناقش المشكلات الداخلية والخارجية عن وعى وأن تراقب درجة الرشد في عملية صنع القرار .

وتتضمن عبارات ريتشارد هاس فيما يتعلق بتقويمه للأنظمة التعليمية العربية تعميمات جارفة لاسند لها . وإذا كنا في الوطن العربي ننتقد سياسات التعليم ومحتواه واتجاهاته فلا يمكن أن نوافق على الحكم القاطع الذى قرره (هاس) من أن هذه الأنظمة التعليمية لاتساعد الطلاب على النجاح في القرن الحادى والعشرين . وإذا كان صحيحا أن قسما من الخطاب التعليمى العربى - كما قرر عبد الحميد الأنصارى - منقطع عن العلوم الحديثة خاصة فى مجال التعليم الدينى مما من شأنه أن يؤدى إلى بروز عقليات مغلقة تؤدى فى النهاية إلى التعصب، فإن هذه الحقيقة ينبغى ألا تعمم على كل برامج التعليم العربى . وحتى فى هذا القسم التقليدى من التعليم العربى هناك محاولات متعددة لتطويره كما حدث بالنسبة لتطوير جامعة الأزهر فى مصر فى الستينيات من القرن العشرين مما أدى إلى تحديث التعليم الدينى بصورة ملحوظة وتحوله لكى يواكب التطورات العصرية فى مجال العلوم .

وإذا كانت الديمقراطيات المزدهرة - كما يقرر ريتشارد هاس أخيرا- تتطلب تقاليد المساءلة، فعلى أن نسأل : هل نجحت هذه التقاليد- بالرغم من أهميتها القصورى فى أى ممارسة ديمقراطية- فى مساءلة الجماهير الأمريكية لقاداتها السياسيين عبر عشرات السنين التى تعاقبت على الحكم فيها إدارات جمهورية وديمقراطية عن صحة القرارات السياسية التى أصدرتها فى مجال السياسة الداخلية أو فى مجال السياسة الخارجية؟ .

خلاصة القول، لا يمكننا أن نجادل فى صحة أن التعليم ركيزة بناء المستقبل، وفى وجود علاقة جوهرية وحيوية بين التعليم والديمقراطية، لذلك من المهم بمكانة إدارة أزمة التعليم القائمة، حتى لاتستفحل المشكلة، وذلك ما نحاول تحقيقه من خلال طرح حلول لبعض القضايا التعليمية التى تفرض نفسها بقوة على الساحة التربوية .

الفصل الرابع

دور منظومة التعليم في مقابلة تجليات عصر العولمة*

- تمهيد.
- منظومة التعليم.
- تجليات عصر العولمة.
- دور منظومة التعليم في مقابلة تجليات عصر العولمة.
- خاتمة.

مقدمة

إن الرؤية الواضحة لروح العصر، تستوجب تحقيق استجابة منطقية لمقتضيات التعامل الفاعل مع تحديات العولمة بافرازاتها المختلفة. أيضا، تتطلب تلك الرؤية استقرار واع لتجليات العولمة الحاضرة، والمتوقع حدوثها مستقبلا.

وعلى صعيد آخر، توجد علاقة وثيقة الصلة بين جميع جوانب الأمن القومي، سواء أكانت إقتصادية، أم عسكرية، أم سياسية، أم تنموية، أم إجتماعية، .. إلخ. وإذا خصصنا الحديث عن الجانب الإقتصادي للأمن القومي، في عصر العولمة، وجدنا أن مصادر التهديد الداخلي للتماسك الإجتماعي والاستقرار السياسي، يهتزا بدرجة كبيرة في حالة ثبات الدخل القومي، دون نمائه إذ يسهم هذا الثبات في تقليص فرص العمل، وفي انخفاض مستويات المعيشة.

تأسيساً على ما تقدم، يمكن القول بدرجة كبيرة من الثقة أن أساس الارتقاء بالقوة الشاملة للدولة، يهتزا بشدة إذا فشلت محاولات الارتقاء بالقدرة الإقتصادية لتلك الدولة. والحقيقة أن الأمر لا يقف عند حدود الجانب الإقتصادي فقط، إذ أن القدرة الذاتية لآى دولة تعتمد على قدراتها العلمية والتكنولوجية، بجانب قدراتها الثقافية والاجتماعية. وهذا وذاك يسهمان في صناعة قوة عسكرية مؤثرة، تساعد على بناء تحالفات دولية بينها وبين الدول الأخرى على أساس تأكيد دورها الإقليمي الرائد والقائد، وعلى أساس تبادل المنافع وتوازن المصالح.

يبرز الحديث السابق الدور المهم للتعليم بالنسبة لما يجب تحقيقه من نمو ونماء في شتى المجالات، بما يتوافق مع تجليات عصر العولمة. لذلك، يكون من الواجب تأكيد دور منظومة التعليم لتواكب التجليات التي أفرزتها العولمة، وذلك ما يسمى الحديث التالى لتحقيقه من خلال التصدى للموضوعات الثلاثة التالية:

* منظومة التعليم.

* تجليات عصر العولمة.

* دور منظومة التعليم في مقابلة تجليات العولمة.

وفيما يلي عرض تفصيلي للموضوعات السابقة.

أولاً: منظومة التعليم :

بادئ ذي بدء، يجدر الإشارة إلى أن النظام هو ذلك الكل المتكامل، المنظم والمركب الذى يربط بين عناصر وأجزاء (نظم فرعية) ذات خصائص بعينها، تتداخل مع بعضها البعض في علاقات تبادلية ومستمرة التأثير، بالصورة التى لا يمكن بها عزل أحد هذه

العناصر أو الأجزاء عن بقيتها، مكونة في مجموعها ذلك النظام الذي يوجه بدوره ضمن مجموعة من العلاقات التبادلية مع مجموعة أخرى من النظم المتصلة به، والتي تكون مجتمعة ما يطلق عليه النظام الأشمل، أو النظام الأوسع.

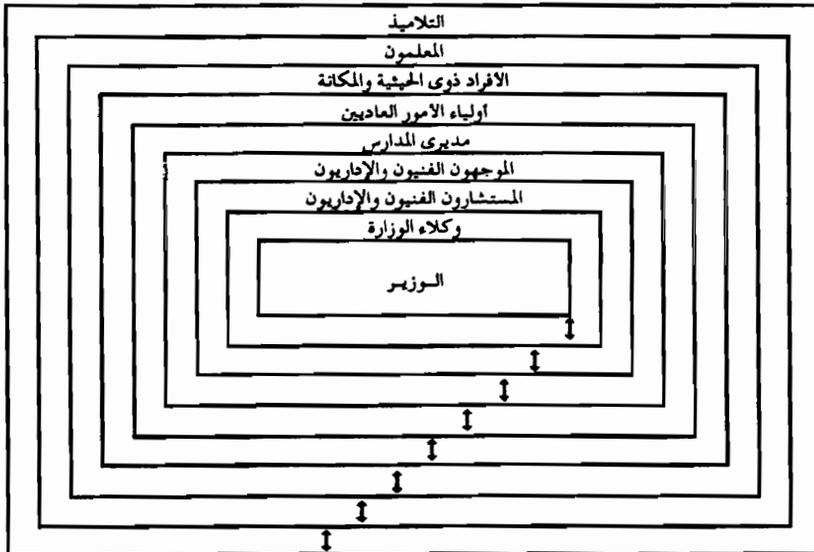
معنى ذلك؛ أن النظام يتكون من أجزاء ذات علاقات، أو ذات تعاملات فيما بينها، لذا فإن دراسة أى جزء من أجزاء النظام لا يمكن أن يتم بشكل مستقل عن بقية الأجزاء الأخرى.

في ضوء ما تقدم، يتكون النظام الأشمل لمؤسسات المجتمع من مجموعة منظومات فرعية متداخلة في علاقات تبادلية التأثير فيما بينها، وهي: منظومة الأمن القومي، ومنظومة التعليم، ومنظومة العلم والتكنولوجيا، ومنظومة الصناعة، ومنظومة الزراعة، ومنظومة التجارة، .. إلخ.

وإذا خصصنا الحديث على منظومة التعليم، نجد أنها تتكون من مجموعة من المنظومات الفرعية التالية:

(١) من حيث العامل البشري :

تتكون المنظومة الفرعية للعامل البشري من تفاعل وتداخل جميع الأفراد، فمن لهم علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالتعليم، من أية زاوية من الزوايا، كما في الشكل التالي :



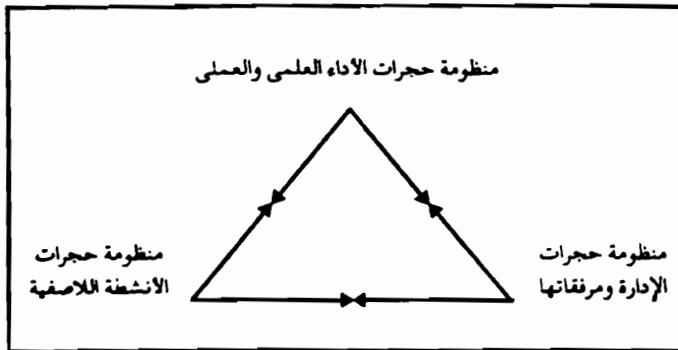
شكل (١)

منظومة التعليم الفرعية للعامل البشري

وواضح مما تقدم أهمية التأكيد على التلميذ كنتاج نهائي (مخرج) للعملية التعليمية، حيث يجب أن تبدأ العملية التعليمية بالتلميذ، وتنتهي به.

(٢) من حيث المباني والتجهيزات :

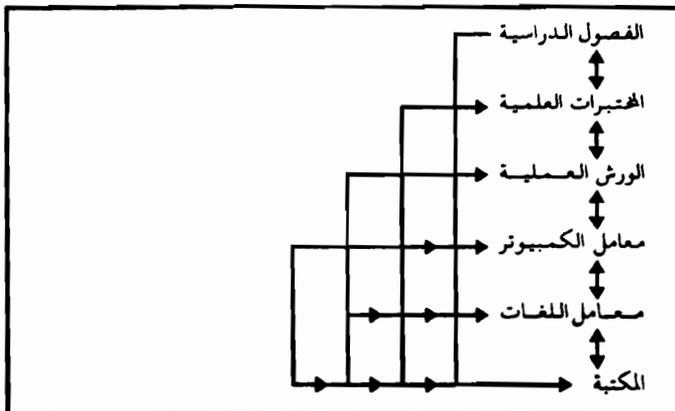
تشكون المنظومة الفرعية للمباني والتجهيزات من تفاعل وتداخل الثلاث منظومات الفرعية الجزئية التالية :



شكل (٢)

منظومة التعليم الفرعية للمباني والتجهيزات

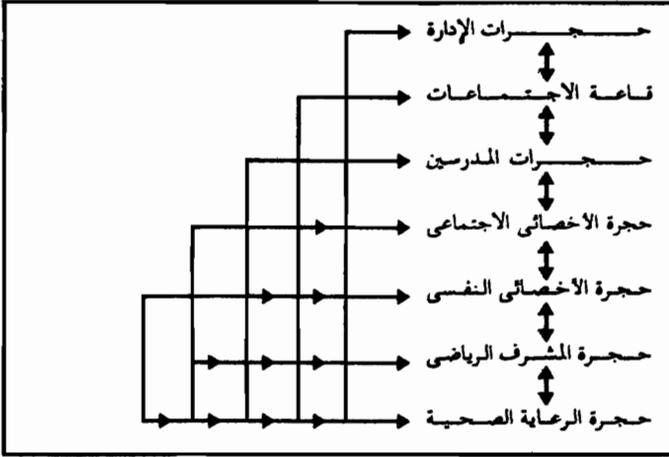
أما المنظومة الفرعية الجزئية لحجرات الاداء العلمى والعملى، فهي على النحو التالى :



شكل (٢-١)

منظومة التعليم الفرعية الجزئية لحجرات الاداء العلمى والعملى

والمنظومة الفرعية الجزئية لحجرات الإدارة ومرفقاتها، فهي على النحو التالي :

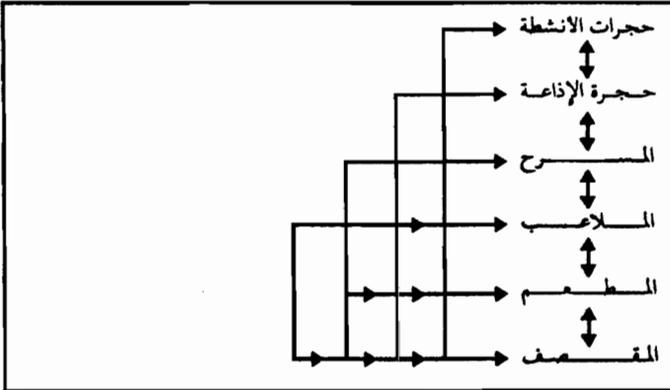


شكل (٢-٢)

منظومة التعليم الفرعية الجزئية لحجرات الإدارة ومرفقاتها

والمنظومة الفرعية الجزئية لحجرات وتجهيزات الأنشطة اللاصفية، فهي على النحو

التالي :



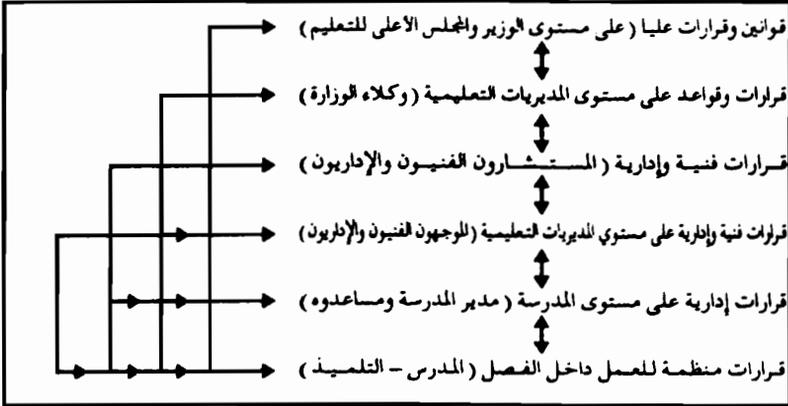
شكل (٢-٣)

منظومة التعليم الفرعية الجزئية لحجرات وتجهيزات الأنشطة اللاصفية

ويجدر التنويه إلى أن المنظومات الفرعية الجزئية الثلاثة السابقة (حجرات الأداء العلمي والعملية - حجرات الإدارة- حجرات وتجهيزات الأنشطة اللاصفية) تم تحديدها في صورتها المثالية، إذ لا تتوفر في غالبية المدارس عديد من العناصر آتفة الذكر.

(٣) من حيث القواعد المنظمة للتعليم:

تتكون المنظومة الفرعية للقواعد المنظمة للتعليم من تفاعل وتداخل قوانين وقرارات التعليم التالية:

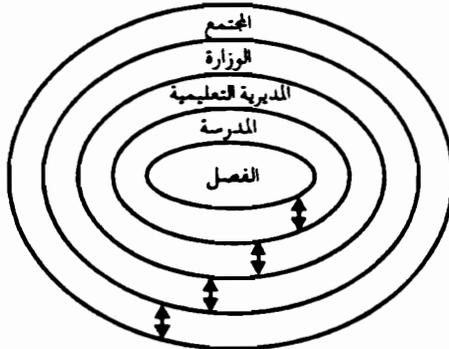


شكل (٣) : منظومة التعليم الفرعية للقواعد المنظمة للتعليم

ويشترط في جميع المستويات السابقة أخذ أي قرار على أساس ديمقراطي، حيث يتم مشاركة جميع أطراف العملية التعليمية.

(٤) من حيث المناخ التعليمي :

يمكن أن تكون المنظومة الفرعية للمناخ التعليمي على النحو التالي:



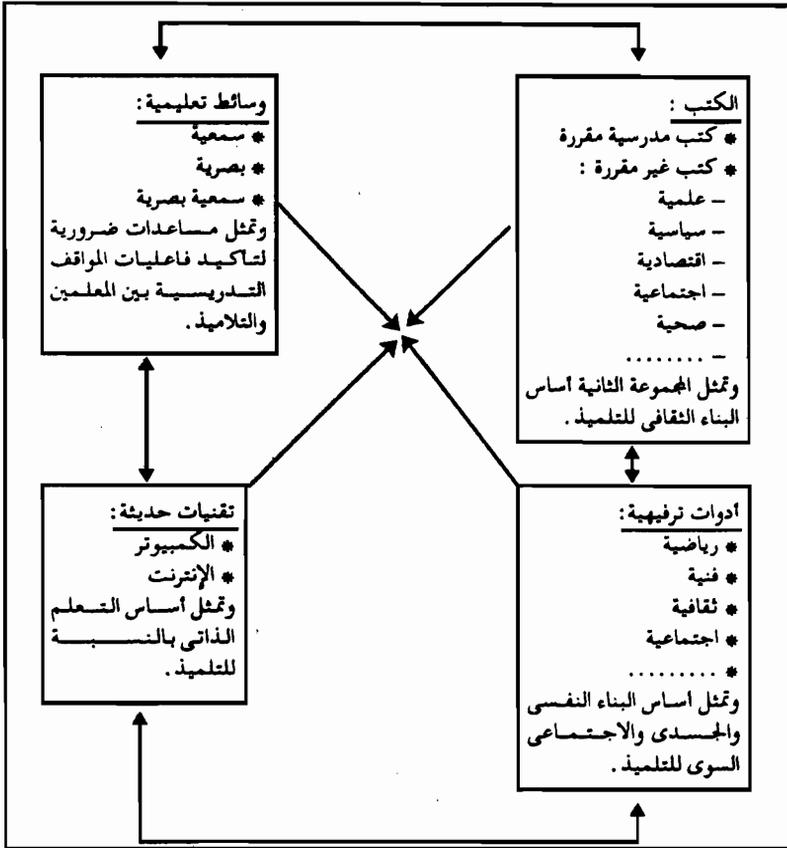
شكل (٤) : منظومة التعليم الفرعية للمناخ التعليمي

وعلى الرغم من أن المدرسة قد تقود حركة التغيير في المجتمع، وخاصة في الدول الديمقراطية، فإن المناخ التعليمي يتأثر بصورة مباشرة بالمناخ السائد في المجتمع، وذلك يتوافق مع كون المدرسة إحدى مؤسسات المجتمع.

وجدير بالذكر أن مستويات المناخ التعليمي آنفة الذكر، يمكن أن تمثل مستويات نظام التعليم قبل الجامعي، بعد مراعاة المرحلة التي تخدمها المدرسة (إبتدائي- إعدادي- ثانوي: عام أو فني).

(٥) من حيث أدوات التعليم والتعلم :

تتكون المنظومة الفرعية لأدوات التعليم والتعلم من تفاعل وتداخل العناصر التالية :



شكل (٥)

منظومة التعليم الفرعية لأدوات التعليم والتعلم

وواضح مما سبق، إن أدوات التعليم والتعلم تتعدى بكثير تلك الأدوات التي يمكن إستخدامها في المواقف التدريسية داخل الفصول.

(٦) من حيث مناهج التعليم :

تتمثل عناصر المنظومة الفرعية لمناهج التعليم، في الآتى :

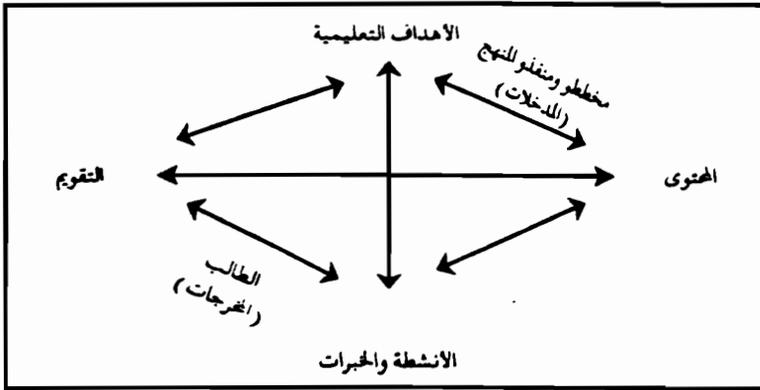
* أهداف المنهج .

* محتوى المنهج (المقررات الدراسية، ومفاهيمها، وطرق التفكير فيها) .

* أساليب ووسائل تنظيم المحتوى في صورة أنشطة وخبرات تعليمية تعلمية يمكن تطبيقها .

* التقويم (التقويم أثناء التنفيذ- التقويم النهائى) .

وعلى أساس التداخل والتأثير التبادلى للعناصر السابقة، تكون المنظومة الفرعية لمناهج التعليم، على النحو السابق :

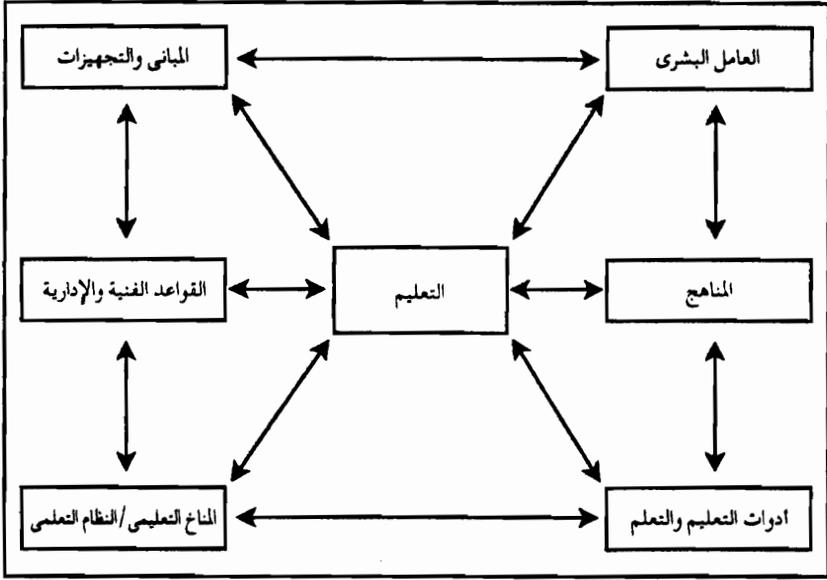


شكل (٦)

منظومة التعليم الفرعية لمناهج التعليم

وواضح مما تقدم أن أهم مخرجات المنهج هو الطالب، وبذلك يكون توجيه السلوك الإنسانى هو الأهم بالنسبة للعملية التعليمية.

في ضوء ما جاء في الحديث السابق الذى تمثله الأشكال الستة السابقة، يمكن تحديد منظومة التعليم في صورتها الشاملة على النحو التالى :



شكل (٧)

منظومة التعليم الأساسية

وتقتضى الامانة العلمية الإشارة إلى أن منظومة التعليم فى صورتها الشاملة، تتضمن أكثر من المنظومات الفرعية الستة التى سبق تحديدها، إذ إن كل شىء وأى شىء يمكن أن تندرج تحت مظلة التعليم. وعليه، فإن التحديد السابق يهدف إبراز الأساسيات ذات العلاقة المباشرة بالعملة وتجلياتها.

أيضاً، إن ذكر كل شىء يمكن أن تتضمنه منظومة التعليم، قد يجعل الموضوع واسعاً بدرجة يصعب معها تحديد شتى جوانبه، فيما يختص بإبراز الخطوط العريضة لدور منظومة التعليم فى مقابلة تجليات عصر العملة.

والسؤال :

لقد حددنا أبعاد منظومة التعليم بصورتها السابقة، فهل يمكن لتلك المنظومة مواكبة تجليات عصر العملة؟

الإجابة الطبيعية عن السؤال السابق، هى النفي بتحفظ، على أساس أن منظومة التعليم فى صورتها الواقعية الفعلية لا تحقق أدوارها، دون النظر ما إذا كان ذلك فى ظل تجليات عصر العملة، أم لا، لوجود ثقب فى بنيتها. والدليل على ذلك أنه إذا عدنا إلى المنظومات الفرعية لمنظومة التعليم، نجد الآتى:

• فيما يخص العامل البشري كما جاء في شكل (١)، من الصعب تحقيق التفاعل بين أفراد منظومة التعليم الفرعية للعامل البشري، بسبب القواعد والأساليب الروتينية التي تحول دون الانفتاح بين أفراد المجتمع التعليمي بعضهم البعض. حقيقة، توجد بعض المحاولات الجادة، التي يمكن أن تبشر بالخير بالنسبة لهذا الشأن، ولكنها تظل محددة فقط في صورتها الرسمية (المؤتمرات - اللجان).

• فيما يخص المباني والتجهيزات كما جاء في شكل (٢)، تعاني مدارسنا من تكدر التلاميذ في الفصول، وندرة المختبرات العلمية، وسوء حالة الورش العملية، وعدم وجود معامل للغات، والفقر الشديد في المراجع والكتب الحديثة (العربية والأجنبية على السواء) في المكتبات. أيضا، بسبب الكثافة العالية لعدد التلاميذ، تحولت حجرات المدرسين والاختصاصيين إلى حجرات للدراسة. وأخيراً، تعاني أغلب المدارس من عدم وجود حجرات للأنشطة الثقافية والاجتماعية، وعدم وجود ملاعب أو مطاعم أو مقاصف.

• فيما يخص القواعد المنظمة للتعليم كما جاء في شكل (٣)، فإنها تبدو وكأنها ديمقراطية، وفي حقيقتها تنسم بالشمولية الخالصة، حيث تصدر تلك القواعد على أساس مركزي، وبطريقة فوقية، دون أن تترك للإدارات التعليمية والمدارس مسؤولية تسيير العمل، وفقاً لظروفها الخاصة.

• فيما يخص المناخ التعليمي كما جاء في شكل (٤)، فهو يعتمد على بنية تركيبية فوقية تبدأ بالفصل الدراسي وتنتهي بالمجتمع، وإن كان هناك شك بدرجة ما من وجود قنوات إتصال بين الإدارات المختلفة في وزارة التربية والتعليم والمؤسسات المناظرة في المجتمع.

• فيما يخص أدوات التعليم والتعلم كما جاء في شكل (٥)، يعانى التعليم قبل الجامعي، في جميع مراحله، من النقص الشديد في الأدوات التي تسهم في تحقيق البناء الثقافي للتلميذ، وفي تأكيد فاعليات المواقف التدريسية بين المعلمين والتلاميذ، وفي مساعدة التلاميذ على التعلم الذاتي، وفي ممارسة التلاميذ للأنشطة الترفيهية.

• فيما يخص مناهج التعليم كما جاء في شكل (٦)، فهي توجه جل إهتمامها إلى الناحية الذهنية العقلية للطلاب فقط، دون مراعاة لبقية جوانب نموه الأخرى (الميول- الاتجاهات- الدوافع- الانفعالات-.. إلخ).

وإذا أضفنا إلى ما تقدم، تجليات عصر العولمة، التي يمكن أن يكون لها في حد ذاتها- بعض الجوانب السلبية، كما سيظهر من الحديث التالي، يتأكد أن النفي القاطع هو الإجابة الطبيعية عن السؤال السابق، بمعنى؛ لا يمكن لمنظومة التعليم بوضعها الحالي مواكبة ومقابلة تجليات عصر العولمة.

ثانياً : تجليات عصر العولمة :

بادئ ذي بدء، يجدر الإشارة إلى المحاولة الجادة التي تمت لتصميم منهج تربوي عالمي، يهدف :

* مقابلة التنوع الثقافي، بدلا من محاولة هيمنة وسيطرة ثقافة واحدة.
* الحوار بين الحضارات، بدلا من محاولات الإدعاء بأن الصدام بين الحضارات لا بد من حدوثه.

وقد ظهرت المحاولة السابقة في كتاب عنوانه : « المنهج التربوي العالمي .. أسس تصميم منهج تربوي في ضوء التنوع الثقافي » . ويبرز هذا الكتاب شيئا غريباً وخطيراً آنياً، إذ إن غالبية تعريفات العولمة كما جاءت في الأدبيات العربية، ترفض العولمة، لأنها تعمل على تشويه الثقافة العربية والنهية القومية لارتباطها المباشر بالأمركة.

ويدل ما تقدم على خطأ كبير، لأنه حتى بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، من العيب الظن بأن الساحة قد فرغت تماماً أمام الولايات المتحدة الأمريكية، التي فشلت تماماً في مواجهة الإرهاب دون مساعدة المجتمع الدولي لها . ناهيك عن أن الموقف العالمي حتى الآن لم يتحدد أبعاده تماماً، ولم تستقر أوضاعه بعد، وخاصة أن كل دولة (أو مجموعة من الدول)، تبحث عن صياغة مناسبة لسياستها، وعن موقعها في العلاقات الدولية.

وبعامة، فإن موضوع العولمة يقع في نطاق الموضوعات التي تتسم بالجدل الكبير، ما بين مؤيد ومعارض، وخاصة أن عصر العولمة يجب أن يعبر عن سلوك الدول معاً على الكرة الأرضية، حيث تسود الاتجاهات الأقوى وفقاً لمصدر سلطتها، كما يتأثر هذا الموضوع بانحيازات كل من يتطرق لدراسة تجلياته، وفقاً لإجتهاده وفلسفته وميوله وانتمائه وإيديولوجيته وعقائده وسياسته.

وبعامة، علينا إجتياز حدود الدائرة المغلقة التي يخلقها الجدل المثار حول العولمة، لأن كل الأحداث من حولنا تؤكد أننا نعيش بالفعل في عصر العولمة، ولا يمكن لدولة ما أن تعزل عن المجتمع العالمي، حتى وإن أرادت ذلك.

إذاً، طالما الأمر كذلك، علينا أن نتساءل :

ما تجليات عصر العولمة ذات التأثير المباشر في منظومة التعليم ؟

وحيث إن إجابة السؤال السابق واسعة وعريضة آنياً، فإننا نقدم مختصراً يمكن أن يمثل بعض المؤشرات المهمة التي يمكن أن تساعد الباحثين -بعمق وكثافة- عن الإجابة المنشودة . وهذه المؤشرات، على النحو التالي :

(١) الهوية الثقافية :

هناك من يدعى بأن تشويه الهوية الثقافية، وصهرها فى بوتقة الثقافة العالمية، يمثل أحد التوجهات الخطيرة لعصر العولمة .

والحقيقة إن الادعاء بأن هويتنا الثقافية قد يصيبها العطب، أو تطعن فى مقتل، فى عصر العولمة، ليس له أساس من الصدق والصحة، طالما لا تعانى هويتنا الثقافية أساسا من هدر فكرى، وطالما غير مصابة أصلا بالاهتراء والوهن والضعف الداخلى .

بمعنى ؛ تظل هويتنا الثقافية قوية فتية فاعلة مؤثرة، ولا تستطيع أية مؤثرات خارجية أن تخترقها، طالما يمتلك أصحابها العقول القوية القادرة الواعدة، التى تستطيع أن تحتك بالثقافات الأخرى، وتفتح عليها، لتنهل من منابعها الصافية، ولتقترب من مياها العكرة .

(٢) تحقيق السلام :

يقولون أن تجليات عصر العولمة قد أكدت أن الإنسان لن ينعم أبداً بالامن والأمان والطمانينة والاستقرار، سواء أكان ذلك على مستوى عمله، أم على مستوى التعامل مع الآخرين فى المنزل والشارع والمدينة، أم على مستوى ظروف المجتمع الكبير الذى يعيش فيه بسبب وجود الجماعات المهووسة والمتطرفة، أم على مستوى الوطن ككل طالما توجد قوى خارجية أو داخلية لديها القدرة أن تاتى على الأخضر واليابس معا .

والحقيقة، إن هذا الموضوع يجب أن لايزعجنا كثيراً، لان معضلة تحقيق السلام ظهرت منذ أن خلق الله الإنسان على الأرض، ناهيك أن الدعوات للسلام باتت الآن مؤثرة وفعالة، بعد أن إكتشف الإنسان أن الحروب لا تحل المشكلات . ونتيجة لظهور دعوات السلام، ظهرت ثقافة السلام، التى تتبنى إمكانية تحقيق السلام، وفض المنازعات والخلافات، عندما يحدد الإنسان ما له وما عليه، بدقة وموضوعية .

(٣) الثقافة والتنمية تحت مظلة الديمقراطية :

هناك من يزعم بأن الديمقراطية كأحد تجليات عصر العولمة، يتم إستخدامها بطريقة سيئة وفجة، وأحياناً قبيحة . فأحياناً، يتم الإدعاء بأن ما يحدث يقع تحت مظلة الديمقراطية، بينما يشير الواقع العملي الفعلى إلى وجود محاولات مقصودة مفرضة تهدف تهيمش الثقافة القومية، وواد الخطط التنموية فى مهدها .

ولكن، مهما كانت المحاولات الفاسدة تحت ستار الديمقراطية، فإن الديمقراطية ذاتها هى الخطوة الأولى فى طريق إكتشاف الفساد، وهى الوسيلة الفاعلة لتصحيح الأوضاع .

بمعنى؛ حتى إن أراد بعض الأفراد (أو الدول) إستخدام الديمقراطية لتحقيق مصالح خاصة، لاتتوافق مع المصلحة العامة، فسرعان ما يتم إكتشاف الخطأ، سواء أكان ذلك على مستوى مرحلة التخطيط، أم مرحلة التنفيذ، أم مرحلة الحساب الختامي .

(٤) القضايا القومية من منظور الثنائية : الثقافة / الفكر :

من منطلق ضرورة معالجة القضايا القومية على أساس مقتضيات ومتطلبات ثنائية: الثقافة / الفكر، ثم تحليل تأثير المتغيرات الزمانية والمكانية على هذه القضايا، تباينت التيارات التي تدعو إلى تغيير الواقع بدرجة كبيرة، حيث ظهر:

* تيار ينادى بالحرية السياسية، ويدعو إلى ضرورة الانفلات من قبضة السلطة، التي توحشت وابتلعت المجتمع المدني .

* تيار ينادى بالعدالة الاجتماعية، ويدعو إلى مكافحة الاستغلال الطبقي .

* تيار ينادى بالأصالة الحضارية، ويدعو إلى الرجوع الشكلي إلى التراث، والاسترشاد بما جاء فيه من قيم .

ونتيجة لدفاع أصحاب كل تيار من التيارات الثلاثة السابقة بإستماتة عن وجهة نظرهم، أصبح الإنسان محصوراً ومحاصراً بأفكار وتجليات معاصرة صعبة، بحيث أصبح من الصعب عليه أن يحدد وجهة نظره تجاه القضايا القومية تحديداً دقيقاً .

من هنا، تظهر أهمية دور المثقفين، حيث ينبغي على كل مثقف - مهما كانت توجهاته - أن يقتصر حياته - بل قل يختصر حياته - على شخصه فقط، وإنما ينبغي عليه أن يحرص على قضايا العائلة والمجتمع والأجيال القادمة، إذ إن حياته تكتسب معناها الحقيقي بقدر توضيحته من أجل الغير، وبقدر إخضاع سلوكه لمصالح ومقتضيات تتجاوز شخصه فقط .

(٥) سيادة الدولة :

من أهم تجليات عصر العولمة في وقتنا الحالي، أن تستند سيادة الدولة إلى «احتكار شرعى لوسائل العنف في المجتمع» . وفي العالم الجديد الآخذ في التشكيل، تمتد سيادة الدولة إلى مجتمع العالم بكليته هذه المرة، كى يكون لصاحبها «الحق» في ممارسة القوة التي تقف فوق كل القوى .

ونتيجة لما تقدم، قد ينبهر الفرد في الدول النامية بالحدث أو التغيير الجديد الذي يتحقق في ظل سيادة الدولة في المجتمعات الغربية المتقدمة . ورغم ذلك، يمكن لهذا الفرد أن يلتقط أنفاسه بسرعة، إذ بحدسه وحسه وملكانته نظرية، يستطيع استقراء الواقع الصحيح والمفيد . وبحقيق ذلك، يتمالك إترانه المعنوي، فيهمل ما ينبغي إهماله، ويستفيد مما يجب أن يستفيد منه .

(٦) التطرف والإرهاب :

من التجليات الخطيرة لعصر العولمة، شيوع ظاهرة التطرف والإرهاب، في جميع دول العالم بلا استثناء. لذلك، نجد صوراً عديدة للتطرف والإرهاب (دينى- أهديولوجى- عرقى- عنصرى- مذهبى- سياسى- فكرى- . إلخ)، وذلك يمثل خلافاً بالأمن القومى فى عديد من الدول: الغنية والفقيرة، على حد سواء.

ومما يجدر الإشارة إليه، إننا نضع التطرف والإرهاب فى سلة واحدة، لأنهما يتلازمان ولايتفارقان. فالتطرف مرتبط بالفكر، والإرهاب مرتبط بالعمل، الذى يعكس هذا الفكر إلي واقع ملموس واجراءات تنفيذية.

ولعل شيوع ظاهرة التطرف والإرهاب فى كل مكان، يعود - بالدرجة الاولى - إلى تلاشى ظروف الزمان والمكان فى عصر العولمة. فالفرد يستطيع أن يتصل بالآخرين فى أى مكان، وفى الوقت المناسب له، باستخدام وسائل الاتصال فائقة السرعة (إنترنت). وعليه، فإن التدفق المعلوماتى، إذا لم يتم السيطرة عليه عن طريق الأساليب الأمنية المناسبة، يمكن أن يكون من الوسائل الهدامة والخطيرة فى تصدير الأفكار التي تدعو إلى التطرف والإرهاب.

خلاصة القول: على الرغم من أن تجليات عصر العولمة، التي قد تبدو بعض جوانبها سلبية فى تأثيراتها، وخاصة بالنسبة لمنظومة التعليم، فإنها تبدو ضرورة مهمة، بعد أن ثبت فشل الأفكار الخيالية (الطوباوية) فى التعامل مع الواقع المعاش، وبعد أن تحقق حدوث التحديث والنمو الاقتصادى كنتيجة حتمية للعولمة، وبعد أن تأكد صعوبة تحقيق التفريغ الثقافى فى وجود عقول قوية قادرة على التمسك بالثقافة القومية وعلى الانفتاح على الثقافات العالمية الأخرى، فى الوقت نفسه. وعلى الرغم من التأثيرات السلبية لتجليات عصر العولمة، يمكن لمنظومة التعليم (بعد تصحيح أوضاعها بالنسبة للشقوب الموجودة فى بنيتها، التي سبق الإشارة إليها) أن يكون دورها مهماً فى مقابلة تلك السلبيات، وفى تأكيد إيجابيات تجليات عصر العولمة، فى الوقت نفسه.

ثالثاً: دور منظومة التعليم فى مقابلة تجليات عصر العولمة :

سبق تحديد تجليات عصر العولمة فى الآتى :

- الهوية الثقافية.
- الثقافة والتنمية تحت مظلة الديمقراطية.
- القضايا القومية من منظور الثنائية: الثقافة/ الفكر.
- سيادة الدولة.
- التطرف والإرهاب.

وأيا كانت التحليات السابقة إيجابية أم سلبية، يكون من المهم طرح السؤال التالي :

ما دور منظومة التعليم في مقابلة تجليات عصر العولمة ؟

بإختصار شديد، يمكن أن تكون إجابة السؤال السابق، على النحو التالي :

يواجه التعليم أزمة حقيقية في ضوء تجليات عصر العولمة، وقد يصل الأمر إلى حد الكارثة. ومن أهم ملامح هذه الازمة (أو الكارثة) نذكر الآتى :

* الانفصال الكبير بين التعليم وسوق العمل، إذ لا تشارك المؤسسات التعليمية في حل المشكلات العلمية والعملية التي يواجهها المجتمع.

* الإهتمام بالكم دون النظر بعين الإعتبار إلى الكيف.

* عدم تكافؤ فرص التعليم، بسبب ظهور نخبة تتاح لها فرصة التعليم باستخدام الكمبيوتر، وغالبية محرومة من هذا الحق.

* تعدد مسارات التعليم، ما بين مدارس حكومية مجانية ومدارس خاصة بمصرفوات، وما بين تعليم باللغة العربية وتعليم باللغات الأجنبية.

* العزوف عن مداومة التعليم، إذ يكتفى غالبية المتعلمين بالشهادات التي يحصلون عليها، رغم أن التعليم المستمر يتيح لهم فرصة التعلم مدى الحياة.

* سلبية المعلمين، بسبب إرتقاء تكنولوجيا التعليم، دون إعدادهم لمواجهة مستحداث التربية، ودون تأمين مكانتهم وحوافزهم الشخصية.

* عدم فاعلية البحث العلمى، إذ يقتصر إهتمام أساتذة الجامعات بالعملية التدريسية، دون إهتمام يذكر بمهامهم البحثية، خاصة بعد أن زادت كلفة البحوث العلمية.

* تدنى مستوى الخريجين، بسبب الكثافة العالية لأعداد المتحقيين أو المقبلين على التعليم، وذلك يعنى تسليم أقدارنا لأجيال غير مهيأة، وغير مجهزة للإنتقال إلى مجتمع المعلومات.

* فساد الذوق العام فى المسائل المرتبطة بالأدب والشعر والفن والرواية والقصة.

* الهادر التعليمى الضخم، بسبب البطالة السافرة والمقنعة، وقتل قدرات الخريجين وعدم تنميتها، والعزوف عن العمل المهنى، والتسرب خلال سنوات الدراسة، والامية المزدوجة: الأبجدية والكمبيوترية.

* وجود قوى رجعية تعمل جاهدة على تأكيد الأفكار المخاصمة للعصر والحضارة والمدنية.

* فقد الثقة فى المؤسسات التعليمية، لعدم قيام الكوادر التى تعمل فيها، بدورها القيادى المرجو والمأمول منها.

* تخلف المناهج وطرق التدريس، إذ أصبحت المناهج لاتناسب العصر، لأنها تضخم من قيمة المادة العلمية فقط، دون الإهتمام بجوانب أخرى لاتقل أهميتها عن المادة العلمية،

كما أن طرق التدريس تعتمد على الحفظ والتلقين وحشو المعلومات في رؤوس التلاميذ، دون الإهتمام بالأساليب التي تثير الدافعية والتفكير.

* ضعف الإدارة التعليمية، بسبب الأخذ بالأساليب البيروقراطية العتيقة، ودون الإعتماد على الطرق الحديثة التي تعتمد علي التفاعل الإدارى لجميع الأطراف.

* الإغراق فى المحلية دون الإنفتاح على الكونية أو العالمية التي تجعل المتعلم قادراً على معرفة العالم الخارجى ثم التعامل معه.

وحتى يمكن مقابلة السلبيات آتفة الذكر، ينبغى أن تواجه منظومة التعليم عصر العولمة، بروح عصر العولمة ذاته. ويمكن تحقيق ذلك، عن طريق:

(١) أن لا يكون هدف التعليم هو تحصيل المعرفة فقط، وإنما الإستخدامها فى حل المشكلات، ولتوظيفها لوضع تصور للمعضلات المستقبلية، مع مراعاة أهمية الوصول إلى منابع ومصادر المعرفة نفسها.

(٢) أن يهدف التعليم إكساب المرونة فى أخذ القرارات، وفى إكساب التفكير السليم فى أقصر وقت ممكن.

(٣) أن يهدف التعليم إظهار قابلية التنقل **Mobility** : الجغرافى لتغير أماكن العمل والمعيشة، والإجتماعى لمقابلة الحراك الإجتماعى المتوقع حدوثه، والفكرى للتعامل مع التدفق المعلوماتى وسرعة تغير المفاهيم، إذ ليس للإنسان الآن وطن بعينه يعيش فيه، أو جماعة بعينها ينتمى إليها، وإنما بات العالم كله - بكل جنسياته وأيديولوجياته ولغاته - مفتوحاً أمامه، يستطيع أن يتجول فيه كيفما شاء.

(٤) أن يهتم التعليم بالنواحي الوجدانية والأخلاقية للمتعلم، وإكسابه القدرة على تحقيق ذاته، شأن إهتمامه بحاجات المجتمع ومطالب الفرد الشخصية.

(٥) أن يعمل التعليم علي تنمية عادة التفكير الإيجابى، وقبول المخاطرة المحسوبة وتمميق مفهوم المشاركة، والتعامل مع السلطة من منطلق ديمقراطى، ويحدد بدقة حدود العلاقة بينهما، من خلال حقوق وواجبات كل طرف.

(٦) أن يتصدى التعليم للروح السلبية أو الإنهزامية، إذا وجدت عند بعض المتعلمين، وأن يعرفهم كيفية تفعيل عمل آليات تفكيرهم، فتكون إنجازاتهم إيجابية، كما يدركون حقيقة الظواهر، ويتمثلون المعارف الصعبة والمفاهيم المعقدة.

(٧) أن يبشر التعليم بأهمية خلق عالم إنسانى واحد، بحيث يكون متماسكاً ومتجانساً ومتشابهاً، ومعترساً ببناء حضارة إنسانية واحدة، وبذا يكتب المتعلم الانتماءات والتوجهات التي تساعد على التواصل والتلاحم مع الآخرين، والتي تجعله يقبل الآخر، ولا يتعصب لبني جنسه المحليين فقط.

- (٨) أن يهيئ التعليم المتعلم ليخلق عمله بنفسه، وليعرف كيف يقضى أوقات فراغه، فيما يفيد، وخاصة أن دلالات المستقبل القريب تشير إلى ندرة العمل في عصر العولمة .
- (٩) أن يساعد التعليم المتعلم في التفكير في أساليب التفكير التي يمارسها، ليتمكن للوصول إلى ما وراء المعرفة، بالنسبة للمشكلات العملية والعلمية والوجدانية التي يقابلها في دراسته أو في حياته المعيشية، والتي تتطلب حلاً موضوعياً وعقلانياً لها .
- أخيراً، تبقى نقطة مهمة بالنسبة لدور منظومة التعليم في مقابلة تجليات عصر العولمة، وتمثل في محاولة تحديد إجابة دقيقة للسؤال التالي :
- ماذا عن الأهداف التربوية التي ينبغي أخذها في الاعتبار عند تصميم منظومة المناهج المستقبلية، بما يتوافق مع التحديات التي يفرضها عصر العولمة على التعليم والتعلم آتياً ؟
- تمثل أهم الأهداف التربوية، التي يجب مراعاتها في تصميم منظومة المناهج المستقبلية، في ضوء تحديات عصر العولمة، في الآتي :
- (١) ينبغي أن تتيح مناهج المستقبل الفرص المناسبة أمام التلاميذ للإدراك، والتحليل، والتفسير، وإكتشاف مدى واسعاً جديداً للمعاني، إذ يتطلب التعامل مع العالم الجديد، تفسيرات وتعريفات معاصرة، تتوافق مع المعاني التي يكشفها العلم الحديث .
- (٢) ينبغي أن تساعد مناهج المستقبل التلاميذ في إعادة تحديد وإكتشاف أنفسهم، حتى يمكنهم التكيف مع الظروف والأحداث الجديدة التي تتسم بسرعة التغيير، وبخاصة في المجال الاقتصادي الذي يشهد تقلبات إقتصادية متتالية، أفرزت وظائف جديدة تتطلب كوادراً ومدرِّبين لديهم المهارات التي تحتاج إليها تلك الوظائف .
- (٣) ينبغي أن تسهم مناهج المستقبل في دفع التلاميذ إلى توجيه أسئلة ذات مغزى، وفي إتاحة الفرصة لممارسة التلاميذ الإرشاد الذاتي لأنفسهم، ولبعضهم البعض .
- (٤) ينبغي أن لا تتمركز مناهج المستقبل حول المعاني والمعارف فقط، بل يجب أن يراعى في بنائها المسائل الجدلية والأفكار المتصارعة، التي تؤدي إلى مناقشات، تتسم بالمغزى والبناء معاً .
- (٥) ينبغي أن تتضمن مناهج المستقبل المشكلات الاجتماعية الشائعة، التي يعاني منها عالم الواقع، وبذا يتحقق التعليم المناسب لحياة إنسانية صحيحة ومنتجة .
- (٦) ينبغي أن تركز مناهج المستقبل، على الأساليب التي تسهم في إكساب التلاميذ : التفكير الناقد، ومهارات التعاون، والمعاني السامية التي تجعل التعليم أكثر ملاءمة وإنتاجية .

(٧) ينبغي أن تحتوي الأنشطة في مناهج المستقبل على ما يساعد التلاميذ لتطبيق المعلومات بفاعلية في ضوء خبراتهم المتاحة، وأن تحتوي القصص والمفاهيم الجوهرية، التي تسمى الاتجاهات نحو حب الاستطلاع والتعجب، لأهمية ذلك في تحقيق التعلم الجيد.

(٨) ينبغي أن تشير مناهج المستقبل إلى أن حتمية التدريس للتلاميذ، يجب أن تبقى محورياً للتطلعات الإجتماعية والتعليمية لهم، وبخاصة أن التلاميذ يتعلمون دروساً عن الحياة ذاتها، مما يتعلمونه داخل المدرسة، وما يشاهدونه من حولهم في المجتمع.

(٩) ينبغي أن تضع مناهج المستقبل نموذجاً للعالم الذي تريد أن تخلقه أو تحققه من خلال عملية التعليم والتعلم.

(١٠) ينبغي أن تبرز مناهج المستقبل العلاقة الحتمية الإيجابية بين التعليم والثقافة، وذلك لأن الثقافة على الرغم من تصورهما كنظام مترابط من الاتجاهات والقيم والتعاليم، التي تؤثر في سلوكيات الأفراد، فإنها تعنى التعلم ذاته الذي يستطيع أن يسهم بإيجابية في الجوانب المختلفة للثقافة ذاتها.

(١١) ينبغي أن تعطي مناهج المستقبل إحتراماً متوازناً للثقافات المتباعدة وتوحيداً للأفكار الديمقراطية، وإجلالاً للحقوق الإنسانية المتسامحة، وتقديراً للمسئوليات الشخصية والإجتماعية.

(١٢) ينبغي أن تقاوم مناهج المستقبل الاتجاهات الاجتماعية المتخلفة أو الدونية، التي تضعف الأخلاقيات، وتشكك في الروحانيات، وتحول الفردية إلى إبطار وطمع، وتقتل في الإنسان روح التحدى، وتقلل طموحه، وتشل تفكيره التقدمي.

(١٣) ينبغي أن تراعى مناهج المستقبل أهمية الفهم والبناء على أنشطة التعلم في عملية التدريس، بالتركيز على التعليل والمشاركة والتواصل.

(١٤) ينبغي أن تكسب مناهج المستقبل الفكر متعدد الاتجاهات، وبخاصة أن التلاميذ يحتاجون إلى مرونة ذهنية ليعيشوا في عالم التناقضات، شديد التعقيد وسريع التغير في شتى ظواهره ومظاهره.

(١٥) ينبغي أن تشجع مناهج المستقبل على حل المشكلات من خلال مسارات تفكيرية متعددة، وبذا تحمي المتعلم من التفكير الأحادي، أو التفكير الساذج البسيط، كما تجعله يتحمل مسئولية أداء الأعمال المطلوبة منه بنفسه.

(١٦) ينبغي أن تكون مناهج المستقبل تفاعلية متمركزة حول المعنى، ليكتسب التلاميذ مهارات التفكير الضرورية لمقابلة متغيرات بدايات القرن الحادى والعشرين، وحتى

تلاءم الممارسة التعليمية مع طبيعة العقل النامي، مما يؤدي إلى أفضل إستغلال للطاقات الكامنة عند التلاميذ .

(١٧) ينبغي أن تهتم مناهج المستقبل بخلق ثقافة تعلم، وتوفير بيئة تعلم تعمل على ترقية الفهم وتحقيق المرونة العقلية، لإرتباطهما المباشر بالإنتاج والاداء، اللذين تقوم عليهما الحياة الاجتماعية المسؤولة عن المدرسة ذاتها .

(١٨) ينبغي أن تأخذ مناهج المستقبل في حساباتها أن التدريس من العوامل المهمة في إحداث التغيير الناجح، لذا ينبغي النظر إلى التدريس كعلم وفن آتيا، يسهم في تحقيق حصاد وافر من ثقافة التعلم، التي تسهم بدورها في إكساب التفكير التأملى الحقيقى، وفى تحقيق احتمالات واعدة للعمل .

(١٩) ينبغي أن تشجع مناهج المستقبل المعلمين الأكفاء، الذين يدفعون العملية التعليمية إلى المزيد من التفكير المؤثر وتقدم العلم، والذين يستطيعون إحداث فروق حقيقية فى مقابلة التلاميذ لتغيرات المستقبل، عندما يتحملون مسؤولية تعليمهم، والذين يقبلون بأنفسهم للترحيب بالمستقبل .

(٢٠) ينبغي أن تساعد مناهج المستقبل التلاميذ على النقد، والتحليل، والتفسير، وإكتشاف المعانى الجديدة والحلول المبتكرة للمشكلات، وأن تساعد على تعلم كيفية توجيه الاسئلة ذات المغزى، وكيفية التعبير عن الافكار الخاصة، والقدرة على التخطيط المستقبلى .

(٢١) ينبغي أن يحتل التفكير مكاناً محورياً فى مناهج المستقبل، وبخاصة التفكير فيما وراء المعرفة، لتحديد المعانى الضمنية ولمعرفة ما بين السطور، ولأسيما أن التذكر والمعارف المبنية على الحقائق، لاتمثل تعليماً حقيقياً، لذا ينبغي تأسيس التعليم كبناء للمعارف يقوم على الفهم والتفكير، وليس مجرد حفظ آلى للمعلومة .

(٢٢) ينبغي أن تتزاوج فى مناهج المستقبل كل من : الأهداف الأكاديمية، والجانب التطبيقى للعلم فى حل المشكلات، والخبرات الحياتية للتلاميذ، بحيث تنصهر فى بوتقة واحدة، يظهر مزيجها العلاقات المتداخلة والمتشابكة، فيما بينها .

إن تحقيق المقاصد والغايات السابقة فى تصميم وبناء منظومة المناهج، تكون محصلته النهائية المتوقعة تقديم تعليم متميز، يسهم - بدوره - فى إعداد المتعلم قوى العقل، الذي يقف بقدميه ثابتاً على الأرض ورأسه فى السحاب، لأنه يسيطر على مهارات التفكير، ويستخدمها الإستخدام الأمثل، والذي يستطيع أن يتعامل بسهولة ويسر مع إفرازات عصر العولمة وتحدياته المستقبلية، لأنه يستطيع تحليل الأحداث وفهم التداخلات فيما بينهما، وبأخذ القرار السليم تجاهها .



- (١) مجدى عزيز إبراهيم، المنهج الترهوى العالى... أسس تصميم منهج ترهوى فى ضوء التنوع الثقافى، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠١.
- (٢) مجدى عزيز إبراهيم، دراسات فى المنهج الترهوى للعاصر، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٠.
- (٣) نبيل حلمى، العرب وعصر اللولمات، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩.

الفصل الخامس

منظومة التعليم وأخلاقيات العولمة*

• تمهيد

• أخلاقيات العولمة.

• سمات الفرد في ضوء أخلاقيات العولمة.

• منظومة التعليم وأخلاقيات العولمة.

• خاتمة.

مخلص:

يقول (مرسي عطا الله) .

«إن علينا أن ندرك أننا نعيش واقعاً دولياً جديداً تتدفق حركة المياه فيه بعيداً عن أفواهنا، حتى لو كنا نحن الأحق بهذه المياه والأكثر احتياجاً لها من الآخرين! .

نحن بالفعل نعيش واقعاً دولياً يجري فيه الاستغناء تدرجياً عن جميع المعايير القانونية والسياسية والأخلاقية لكي تصبح حركة السياسة الدولية رهناً لمعيار واحد، هو معيار القوة المهيمنة والتسلطة فقط!

وفي مواجهة مثل هذا الواقع يصعب التعامل بسياسة استقطابية حادة تختصر الأمور في خيارين وحيدين: أبيض أو أسود. فلا الاستسلام للواقع يليق بالأم الحية الناهضة، ولا التصادم والتناطح بالراس مع التيار الهائجة يمكن أن يحقق أية فائدة! .

في مواجهة مثل هذا الواقع الذي فرض نفسه علينا – وعلى الدنيا كلها – بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، يتحتم إعادة النظر فى وسائل وآليات التعامل بنفس حتمية التمسك بالثوابت الاستراتيجية»^(١).

هكذا، إنتهى كلام (مرسي عطا الله) الذى يبرز أن التغيرات فى مجالات عديدة، باتت واقعاً ملموساً ومفروضاً آتياً، بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١. ودون مغالاة فى القول، يمكننا إضافة إلى ما تقدم، أننا نعيش فى عالم التناقضات الشديدة، ما بين السلام والحرب، الأمن والعنف، الاستقرار والاضطراب، الحب والكرهية، القبول والرفض، الأخلاق والمجون،... إلخ، وعلينا مواجهة هذه التناقضات بفكر جديد، وتفكير غير أحادى، بحيث لانغالى فى القبول أو الرفض، أو فى التأييد أو المعارضة.

والسؤال :

هل يمكن تطبيق ما تقدم على الأخلاقيات؟

يتمحور إهتمام الحديث التالى حول الإجابة عن السؤال السابق، من خلال دراسة الموضوعات التالية:

• أخلاقيات العولمة.

• سمات الفرد فى ضوء أخلاقيات العولمة.

• منظومة التعليم وأخلاقيات العولمة.

وفيما عرض تفصيلى للمحاور الثلاثة السابقة:

أولاً: أخلاقيات العولمة :

للحديث عن مفهوم ودلالة الأخلاق، نعود إلى كتاب «الأخلاق النيقوماخية»، فهو من أفضل الكتب التي ألفت في هذا الموضوع على الإطلاق... ومن مختارات ما جاء في هذا الكتاب، نذكر الآتي: (٢)

* لا تتجلى حياة الإنسان للعقل في قدرته على التفكير فحسب، بل تتجلى أيضا في قدرته على التحكم بفكره ومبادئه في رغباته وسلوكه، وعلى ذلك فلا تكون فضائل الانسان عقلية فحسب، بل هي أيضا فضائل أخلاقية (أو أنها فضائل تتعلق بشخصيته).

* والفضيلة الخلقية تعنى بالمشاعر والأفعال، ومن هذه ما قد يكون فيه تفريط وما قد يكون فيه إفراط، وأما الفضيلة فهي القدر الصحيح، أى «الوسط». وليست الفضيلة إلا اختيار الوسط بين رذيلتين متضادتين: فالكرم وسط بين الشح والتبذير؛ والوسط الذى نحن بصددده ليس متوسطاً حسابياً، بل هو الوسط «بالنسبة لنا»، أى أنه الوسط المناسب للإنسان، وهذا - كما يقول (أرسطو) - يتوقف على حصافة الإنسان، أى حكمته العملية.

* وتعنى الفضيلة العقلية الحكمة العملية، وهى تمكن الإنسان من الحصول على الإجابات الصحيحة عن مشكلات السلوك العملية؛ وهى تتضمن المهارة فى التروى، لكنها تفترض أيضاً توفر الفضيلة الخلقية، لأن توفر الغايات السليمة أمر يتعلق بالفضيلة الخلقية - لأن الخلق يحدد الغايات؛ والواقع أن الخير الخلقى والحكمة العملية لا ينفصلان، فكلاهما بحكم تعريفه يتضمن الآخر.

هذا هو المقصود بالأخلاق، وفى ضوء ذلك، علينا طرح السؤال المهم التالى :

أين موقع أخلاقيات الإنسان المصرى، مما سبق ذكره ١٩؟

منذ سبعينيات القرن المنصرم، يعانى الشارع المصرى من فوضى حقيقية، تعكس مدى الانحدار فى مستوى أخلاق الإنسان المصرى. ان المظاهر التى تسود الشارع المصرى تعكس علامات: استفسار وتساؤلات، قلق وتوتر، توهان وحيرة، بسبب إعطاء القانون أجازة طويلة. ونتيجة لهذه الأجازة، لا توجد ضوابط لحركة السيارات، الأفراد، على حد سواء، رغم وجود القوانين التى تنظم حركة المرور. أيضاً، يعانى الشارع المصرى من فوضى الأسعار بسبب المضاربة على السلع، وبسبب صعوبة التمييز بين السلعة: الأصلية والمقلدة، الصالحة والفاسدة، المحلية والمستوردة. كذلك، إختلط الحابل بالنابل بالنسبة لآداب الحديث والتعامل، ولاصول الذوق والكمياسة، فى معاملات الأفراد بعضهم البعض، فى الشارع المصرى.

خلاصة القول. تغيرت - للأسف - غالبية أخلاق الناس نحو الأسوأ، حيث فقدوا شهامتهم، وابتأوا لا يبالون - في أغلب الأحوال - بالأفعال الفاضحة التي تحدث من حولهم، وبذلك انتهكت حرمة الشارع المصرى. (٣)

وهنا، قد يقول: «إن ما سبق الإشارة إليه، يعود بالدرجة الأولى إلى الضوغائين والمجرمين، ولا يعود إلى السواد الأعظم من الناس».

هذا صحيح، ولكن بسبب تدنى المستوى الاقتصادى بالنسبة لغالبية الناس، يضطر فقراء العمال والموظفين (وما أكثرهم) إلى القيام بأعمال غير مشروعة، فى المجالات التى يعملون فيها. وأحياناً، بسبب إستمرار هؤلاء الناس لما يقومون به من أعمال غير قانونية، فإنهم يتصرفون كاعتى المجرمين، ويحققون أعمالاً خاطئة، تفوق كل تخيل أو تصور.

وقد يقول قائل آخر: «إن الكاتب متشامم بدرجة كبيرة، ويرسم صورة سوداوية للشارع المصرى».

إن ما سبق ذكره ليس صورة سوداوية، بقدر هو ذكر لبعض الحقائق، وليست كلها، وما أكثر الكتابات التى تناولت الخلل الذى حدث فى الشخصية المصرية. (٤)

وقد يقول قائل ثالث: «وماذا عن موقف المتعلمين والمثقفين؟!»

فيما يخص المتعلمين، تطالعنا الصحف والمجلات بصفة دورية عن شجون مهنة الصحافة، وفضائح الأطباء الجنسية، ومخالفات أعضاء هيئة التدريس فى الجامعات والمدارس، ورشوة المهندسين، واختلاسات كبار المسؤولين، ... إلخ، وذلك دلالة على أن المسببة طالت المثقفين والمتعلمين، على السواء.

وفيما يخص المثقفين، يكتب (عماد الغزالي) ما يلى: (٥)

* «الحاصل الآن أن الجماعة الثقافية المصرية بدت فى حالة انكشاف تستوجب المراجعة».

* «تشغلنى كثيراً العلاقة بين المثقف والسياسى - يرمد الأول أن يلعب دور الثانى أو لصالحه... بعض هؤلاء يكون مباشراً إلى حد الفجاجة فى نفاق السلطة والمزايدة على مواقفها... آخرون أكثر خبثاً، يمسكون بالعصا من المنتصف يتلمسون اتجاه الرياح ويبدلون الأقنعة حسب الأحوال»

أيضاً، يكتب (فاروق جويهدة) فى جراءة وصراحة ما يلى:

«مازلت اعتقد أن واقعنا الثقافى مازال يعانى هذه الأمراض ولم يسلم منها فى يوم من الأيام، خاصة بين تلك الأجيال التى مارست لعبة الثقافة وجنت من ثمارها الكثير، وأصبحت الثقافة بالنسبة لهم طريقاً لتحقيق الأهداف، وليست قضية عقول وفكر ومواقف».

وللاسف الشديد أن هؤلاء لديهم قدرة غريبة على تحريك المياه الراكدة في كل اتجاه وفي أى ظروف... إن لديهم قدرة عجيبة على افتعال الصخب والضجيج الكاذب.. وهم قادرون أيضاً على التهويش والخداع والمناورة،^(٦)

ثانياً، سمات الفرد في ضوء أخلاقيات العولمة :

وجاء عصر العولمة، وهو عصر يتميز بقدرته على توفير وتدفق المعلومات بسرعة وكثافة هائلتين، عن طريق الاستفادة من ثورة الاتصالات والبرمجيات وامكانيات إنترنت.

وسبب التراكم المعرفى الذى يتحقق بسرعة تفوق كل تخيل أو تصور، أصيب الإنسان بما يسمى حالياً بالإعياء المعلوماتى. وحتى يخرج الإنسان من دائرة هذا الإعياء، يقوم أحياناً بأعمال تعكس أحياناً أخلاقيات مقبولة وإيجابية، ويقوم أحياناً أخرى بأفعال تنافى الأخلاق، وتشذ عنها.

ومن المهم، بمكانة تحديد الأنماط والسمات الشخصية للفرد، التى ظهرت كإفراز أساسى لعصر العولمة، سواء كان ذلك من المنظور الإيجابى أو السلبى للعولمة كظاهرة:

(١) المنظور الإيجابى لظاهرة العولمة، وتمثل قواعلياته المهمة، فى الآتى:

* فضح محاولة الليبرالية الجديدة المتطرفة استغلال ظاهرة العولمة كظاهرة تاريخية إيجابية لم يعرفها تطور المجتمعات البشرية من قبل، لفرض إيديولوجياتها، ومقاومة قوى المجتمع المدنى التى تندد بالجوانب السلبية فى ظاهرة العولمة نفسها.

* كشف الأشكال المختلفة للإرهاب المنظم، سواء أكان ذلك على مستوى محلى، أم مستوى دولى، مع إبراز أن العنف لا يصدر دائماً عن الأفراد والجماعات، بل يصدر عن السلطة الحاكمة نفسها، فى كثير من الحالات. وفى حالة إرهاب الدول، فإنه يكون من أخطر أنواع الإرهاب.

* إبراز أن الحوار، لا بديل عنه، لأن غير ذلك يعنى الصدام والتصادم، ويؤدى إلى الدخول فى صراع حضارى ودينى وعرقى، تكون نهايته الفوضى، ومزيد من البلقنة والضعف والتخلف.

* لا تقتصر ظاهرة العولمة على البعد الاقتصادى فقط، إذ إن لها جانبها السياسى والإجتماعى والإعلامى والثقافى، مع مراعاة أن الحديث عن العولمة الثقافية يجبر حتماً إلى إثارة الجدال بين الكونية والخصوصية.^(٧)

ونتيجة لفاعليات المنظور الإيجابى لظاهرة العولمة آنفة الذكر، يمكن تحديد السمات الإيجابية للفرد المهمة، فى حدود هذا الإطار، فى الآتى:

- الفرد محللاً وناقداً للأحداث من حوله .
- الفرد متسامحاً عن قوة، ومؤكداً ذاتيته في الوقت نفسه .
- الفرد فاهماً لظروفه وظروف الآخرين .
- الفرد متفاعلاً مع نفسه، ومع أعضاء جماعته، بما يخدم المجتمع .
- الفرد مواطناً، على المستويين : المحلي والعالمي .
- الفرد محاوراً، على أساس إحترامه لثقافته، ولثقافة الآخرين في الوقت نفسه .
- الفرد رافضاً لفكرة تضخيم الذات، والتغنى بهوية الحاضر .
- الفرد منصهراً بين الماضي والحاضر والمستقبل .
- الفرد متطلعاً للخبرات الجديدة والمتجددة .
- الفرد معترفاً بأخطاء الماضي، ساعياً لتصحيحها .
- الفرد جريئاً في نشر أفكاره .
- الفرد مبدعاً، ولا يقبل الحلول الجاهزة النمطية .
- الفرد منتجاً للأفكار المادية والمعنوية .

(٢) المنظور السلبي لظاهرة العولمة، وتمثل فاعلياته المهمة، في الآتى :

- * تأكيد أن العلم تحكمه وتتحكم فيه قوة واحدة، مع إبراز أن الجانب الاقتصادى هو الذى يحدد طبيعة العلاقات بين الدول بعضها البعض، وبين الأفراد بعضهم البعض، مع تأكيد قوة وأهمية البنك الدولى والشركات عابرة المحيطات والقارات بالنسبة للاقتصاد العالمى .
- * تأكيد إرهاب الدولة بحجة مقاومة إرهاب الأفراد أو المنظمات . وقد يمتد هذا التأكيد، بحيث يتسع نطاقه، ليشمل دولاً عديدة، وبذلك ينقسم العالم إلى قسمين : مع أو ضد .
- * تأكيد الحوار من مركز القوة، وبذلك يُمكن فرض الأمر الواقع، ونتيجة لذلك يمكن لبعض الأفراد، أو لبعض الدول فقد منطق سيادتها الفعلى، رغم أن الأمر الظاهر يبدو عكس ذلك .
- * تأكيد صراع الحضارات، بدلاً من حوارها، وبذلك تحاول الدول المسيطرة فرض ثقافة واحدة وحيدة، كما تخنقى الخصوصية الثقافية، وتتشوه الهوية القومية .
- ونتيجة لفاعليات المنظور السلبي لظاهرة العولمة آنفة الذكر، يمكن تحديد السمات السلبية للفرد في حدود هذا الإطار، في الآتى :
- الفرد منحازاً لفكره، أو فكر الجماعة التى ينتمى إليها .

- الفرد مشغولاً بالحاضر مشدوداً إلى الماضي .
- الفرد حائراً بين « الحقيقة » و « اليقين » .
- الفرد متقوقماً على ذاته، وغير متفاعل مع الآخرين .
- الفرد مهتماً بالجانب المادى، على حساب الجانب المعنوى
- الفرد باحثاً عن مصلحته الخاصة، ولو كان ذلك على حساب الآخرين .
- الفرد حدسياً فى أغلب الأحيان، ولا يشغل آلياته الذهنية (أحادى التفكير)
- الفرد مستكيناً، ويقبل الأمر الواقع .
- الفرد رافضاً للقيود التى تحد من حريته المطلقة (الفوضوية) .
- الفرد منعزلاً عن الأحداث المحلية والعالمية .
- الفرد أنانياً، يعمل من أجل مصلحته الشخصية فقط .
- الفرد فوضوياً، حيث يسعى لحل مشكلاته عن طريق القوة .
- الفرد مستهلكاً ومشبهاً لحاجاته بنهم .

والواقع أن التقسيم السابق تعسفى، إذ إن الطبيعة البشرية فى مطالبها الأساسية، قد تحدث خلطاً، ما بين السمات الفردية، سواء أكانت نتيجة لفاعليات المنظور الإيجابى أم السلبى لظاهرة العولمة . بمعنى؛ فى ضوء التفاعلات الإنسانية، يمكن أن تختلط الأوراق، بحيث تتداخل السمات الإيجابية والسلبية معاً . ناهيك عن أن فاعليات ظاهرة العولمة، سواء أكانت إيجابية أم سلبية، يمكن أن تتداخل سويًا، وتتفاعل معاً، فى ضوء متغيرات العصر نفسه . ولذلك، أحياناً بسبب ظروف ومتغيرات ومعطيات العصر، يمكن أن تحمل بعض الفاعليات الإيجابية محل الفاعليات السلبية، والعكس بالعكس أيضاً صحيح .

وجديد بالذكر أن فاعليات العولمة، سواء أكانت إيجابية أم سلبية، تتوقف على الظروف والأوضاع السائدة، سواء أكانت محلية أم عالمية . فعلى سبيل المثال، قد تهتز الأوضاع الاقتصادية فى عديد من الدول، إذا إهتز قيمة الدولار، فى البورصات العالمية، أو إذا حدثت نزاعات أو حروب بين بعض الدول . ونتيجة لذلك، قد تحمل الإيجابيات محل السلبيات، أو قد تحمل السلبيات محل الإيجابيات، وفقاً لمتغيرات العصر .

ثالثاً : منظومة التعليم وأخلاقيات العولمة :

فى دراسة سابقة، حددنا عناصر منظومة التعليم، فى الآتى :

- العامل البشرى .
- المباني والتجهيزات .

- القواعد الفنية والإدارية .

- المناخ التعليمي .

- أدوات التعليم والتعلم .

- المناهج (المحتوى الدراسي) .

وقد يبدو أن العامل البشري هو الفيصل بالنسبة لقضية أخلاقيات العمولة، لملاقته المباشرة بالسمات الإيجابية أو السلبية للفرد التي إنشقت نتيجة المنظور الإيجابي أو السلبي لظاهرة العمولة، إذ إن الفرد أياً كان موضعه (تلميذ - مدرس - موجه - مدير مدرسة...)، هو الذى يقبل أو يرفض أخلاقيات العمولة أياً كانت هويتها . بمعنى؛ الفرد فى ظل ظروفه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية... إلخ، يفهم ويتفهم العمولة فى تجلياتها المختلفة، فيقر ما يتوافق مع فكره وتفكيره، ويستبعد ما يخرج عن دائرة إهتمامه، وفق أسس عقلانية وموضوعية أحياناً، ووفق معايير وجدانية وشعورية فى أحيان أخرى .

ما تقدم، صحيح بدرجة ما، ولكنه غير صحيح على طول الخط، وخاصة أن بقية العوامل يمكن أن تؤثر فى الفرد، فتؤكد سماته الإيجابية أو السلبية، التى تنبثق فى ظل ظروف عصر العمولة، كما أوضحنا فيما تقدم . ولتوضيح ذلك، فإننا نتطرق لبقية عوامل منظومة التعليم لتوضيح تأثيراتها على سمات الفرد فى عصر العمولة، وذلك على النحو التالى :

• المبانى والتجهيزات :

إذا حدث خلل فى هذا العنصر، تتأكد سمات الفرد السلبية . فعلى سبيل المثال، لا يستطيع المدرس أو التلميذ أن يبدعان، فى وجود فصول مزدحمة وعالية الكثافة، وفى عدم وجود التجهيزات التى يتطلبها الموقف التدريسي . أيضاً، القصور فى المبانى والتجهيزات، يعنى عدم وجود: العامل والمختبرات، الأبنية والملاعب، وحجرات الأنشطة والمسارح، وذلك يحد من اعتماد التلميذ على نفسه فى إجراء التجارب العملية، وفى ممارسة النشاطات الرياضية والفنية والاجتماعية المختلفة .

• القواعد الفنية والإدارية :

يؤكد وجود القواعد الإيجابية سمات الفرد الإيجابية . ولكن، عندما يجد التلميذ نفسه محصوراً ومحاصراً بقواعد يصعب عليه التعامل معها، وخاصة إذا اتسمت القواعد الفنية والإدارية بالجمود، أو إذا أشاعت مناخاً ديمكتاتورياً بالنسبة لأساليب التفاعل بين أفراد العملية التعليمية، فذلك يعمل على تثبيت سمات الفرد السلبية، ناهيك عن عدم تدريب التلميذ على ممارسة أساليب الإدارة العلمية الصحيحة، حيث تتحدد الأدوار بدقة متناهية لكل فرد .

* المناخ التعليمي :

ويتحدد في أربعة مستويات، هي :

- التفاعل بين المدرس والتلميذ داخل الفصل .

- التفاعل بين المدرسين بعضهم البعض، وبين التلاميذ بعضهم البعض، وبين المدرسين والتلاميذ، خارج الفصل .

- التفاعل بين المدرسين والتلاميذ وإدارة المدرسة، داخل وخارج الفصل .

- التفاعل بين إدارة المدرسة، والإدارات التربوية والمؤسسات الإجتماعية والاقتصادية والإعلامية، خارج المدرسة .

وكلما أمعنت التفاعلات السابقة في ديمقراطيتها، تتحقق أخلاقيات العولة التي تؤكد سمات الفرد الإيجابية . وكمثال على ذلك، إذا قام التفاعل بين إدارة المدرسة والإدارة التعليمية على أساس ديكتاتوري، فإن تأثير ذلك يكون سلباً على من المدرسين والتلاميذ . وإذا تحقق ذلك، يشعر المدرس والتلميذ معاً، إنهما فقدأ حريتهما المنظمة والمسئولة التي تسمح بها القوانين واللوائح المنظمة للعمل داخل المدرسة، وذلك يؤثر سلباً في الادعاءات والممارسات التي تقوم عليها المواقف التعليمية/ التعليمية، ناهيك عن التأثير السلبي في السلوك الأخلاقي الشخصي، لكل من المدرس والتلميذ، إذا شعر كل منهما بالظلم .

* أدوات التعليم والتعلم :

تبدو أدوات التعليم والتعلم في الموقف التدريسي، وكأنها الدفة بالنسبة للسفينة . وحيث أن السفينة لا يمكن أن تحدد مسارها، وقد تتعرض للغرق، بدون دفتها، هكذا الحال بالنسبة للموقف التدريسي في حالة عدم وجود أدوات التعليم والتعلم، أو في حالة عدم مناسبتها وقصورها . وفي المقابل، عندما تتوافر تلك الأدوات، يزداد التفاعل بين المدرس والتلميذ، حيث يمكن أن يعمل التلميذ منفرداً في مجموعات تحت إشراف المدرس، وذلك يكسبه سلوكاً إيجابياً، مثل : التعاون واحترام الآخرين والعمل من أجل المصلحة العامة... إلخ . أيضاً، قد يتطلب الموقف التدريسي أن يعمل المدرس منفرداً، فإذا توافرت أدوات التعليم والتعلم التي يحتاجها المعلم، فإنه يبدع من جهته، كما يلتزم التلميذ من ناحيته، ويركز فيما يقوله المعلم، وفقاً لمستلزمات العملية التربوية .

* المناهج (المحتوى الدراسي) :

قلنا فيما تقدم، إننا نعيش في عصر المعلوماتية، حيث يصاب الفرد بالإعياء المعلوماتي، إذا حاول متابعة كل جديد وحديث من المعرفة . لذا، إذا إتسمت موضوعات المحتوى الدراسي بعدم الحداثة، بحيث باتت غير متوافقة، أو غير مواكبة لظروف العصر

ومتطلباته، فإن التلميذ يستطيع بسهولة اكتساف ذلك، ويستهيى بما يتعلمه فى الوقت نفسه، ثم يتساءل عن فائدة ما تقدمه المدرسة، وخاصة أن نسبة كبيرة من التلاميذ فى جميع مراحل التعليم قبل الجامعى تتعامل مباشرة مع الكمبيوتر، كما أن نسبة من تلاميذ المرحلتين: الإعدادية والثانوية، يمكنها دخول مواقع متعددة على إنترنت .

وبعامة، يمكن أن تكون المناهج السبب المباشرة فى إطلاق الطاقات الكامنة عند التلميذ، إذا كانت جذابة ومشوقة للعصر. وفى المقابل، يمكن أن تكون المناهج عقبة كؤود، أو حجر عثرة فى سبيل إكساب التلميذ التفكير المتشعب، الذى يساعده فى حل المشكلات للدراسية والحياتية .

وجدير بالذكر أنه رغم التوضيح آنف الذكر لدور كل عنصر من عناصر منظومة التعليم بالنسبة لقضية أخلاقيات العولة، فإننا ننوه إلى أهمية أن تعمل منظومة التعليم كآلية واحدة، ضماناً لكفاءة دورها فى تحقيق سمات المتعلم الإيجابية، وتأكيداً لتحقيق تكامل منظومة التعليم نفسها .

خلاصة القول :

يبرز الحديث السابق أننا نعيش فى عصر العولة، حيث ظهرت أخلاقيات غير مألوفة من قبل، بحيث أصبحت الصورة حالكة السواد بدجة كبيرة بالنسبة لعلاقات الأفراد بعضهم البعض من جهة، وبالنسبة للأنظمة التى تتحكم فى سير العمل فى المدرسة، والمؤسسات الأخرى من جهة ثانية. وعلى الرغم من هذا، فإن العولة لها تجلياتها، التى يتسم بعضها بالإيجابية، وهذه يترتب عليها تحقق سمات إيجابية للفرد، وفى المقابل، فإن تجليات العولة السلبية، تسهم فى تحقيق سمات سلبية عند الفرد. وفى النهاية، يقدم الحديث السابق الدور الذى يمكن أن تقوم به منظومة التعليم لتأكيد سمات الفرد الإيجابية، وإنتفاء سماته السلبية .

المراجع

- (١) مرسى عطا الله، «ضرورة مراجعة الوسائل حتى تمر العاصفة!»، جريدة الأهرام، ٢٠٠٢/٦/٢٣.
- (٢) بيمسون، جى. أو (المحرر)، ترجمة فؤاد كامل وآخرين، الموسوعة الفلسفية المختصرة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٢.
- (٣) مجدى عزيز إبراهيم، المنهج التربوي والأمن القومي: قضية التطرف والإرهاب، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٤.
- (٤) يمكن الرجوع إلى المصادر التالية - على سبيل المثال وليس الحصر - التي تطرقت إلى حال ووضع الشخصية المصرية، في وقتنا هذا :
- * فؤاد قنديل، صناعة التقدم في مصر.. العوامل والشروط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١.
- * عزة عزت، لغة الشارع والتحويلات في الشخصية للمصرية، القاهرة: كتاب الهلال، العدد ٥٩٨، أكتوبر ٢٠٠٠.
- * رجب البناء، للمصريون في المرأة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠.
- * جلال أمين، ماذا حدث للمصريين؟ تطور المجتمع المصري في نصف قرن: ١٩٤٥-١٩٩٥، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩.
- (٥) عماد الغزالي، نهاية المطاف، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢، ص ٦٢، ص ٧٤.
- (٦) فاروق جوييدة، «حول الثقافة... والمثقفين»، جريدة الأهرام، ٢٠٠١/٨/٥.
- (٧) الحبيب الجنحاني، «الغرب والعالم الإسلامى... صدم أم حوار؟»، مجلة العربي (الكويت)، العدد ٥٢٤، يوليو ٢٠٠٢، ص ٣٠ - ٣٤.

الفصل السادس

منظومة التعليم المدرسى فى مقابلة صدمات المستقبل بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١*

• تمهيد

• صدمات المستقبل.

• منظومة التعليم المدرسى فى مقابلة صدمات المستقبل.

• خاتمة.

مهمين

«المستقبل آت آت .. فالمستقبل هو الإمتداد الطبيعي للحاضر». وبعض أحداث المستقبل يمكن التنبؤ بها، فتكون واضحة، وبالتالي يمكن مقابلة تجلياتها. وفي المقابل، فإن البعض الآخر يتسم بالغموض، يصعب التنبؤ به. لذلك، عندما تقع تلك الأحداث الغامضة، تكون تأثيراتها كوقوع الساعة، وقد تصيب الفرد بهزة نفسية، أو إجتماعية، أو اقتصادية عنيفة. أيضاً، قد تزلزل الاعراف والقيم المجتمعية السائدة، وقد يصل الأمر إلى إقتلاعها من جذورها، لتحل محلها مجموعة من الاعراف والقيم الجديدة، التي يمكنها مقابلة صدمات المستقبل، غير المتوقعة.

ولتوضيح ما تقدم، نقول:

عندما تفكك الاتحاد السوفيتي في بدايات العقد الأخير من القرن العشرين، فذلك كان متوقفاً بدرجة كبيرة، حيث بشر (نوكسون) بذلك، وسمى (رهجان) إلى تحقيقه. لذا، فإن صدمة هذا التفكك تقبلها العقل الإنساني، وخاصة العقل الغربي، بدرجة ما. ولكن أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، نزلت كالصاعقة على المسؤولين الرسميين في الولايات المتحدة الأمريكية، كما أنها شلت تفكير المواطن العادي هناك. أيضاً، طالت تأثيرات تلك الأحداث حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية، خشية تكرارها مرة أخرى على أراضيهم. كذلك، فإن الد أعداء الولايات المتحدة الأمريكية من العقلاء، استنكروا تلك الأحداث التي تسببت في مقتل آلاف من جنسيات مختلفة، لانتزطهم أمة رابطة بالسياسة الرسمية للولايات المتحدة الأمريكية.

أولاً: صدمات المستقبل :

لقد شهدت تسعينيات القرن العشرين، ولادة النظام العالمي الجديد، تحت مسمى العولمة. وتحت مظلة هذا النظام، باتت الهيمنة الاقتصادية، والسيطرة العسكرية، من نصيب الولايات المتحدة الأمريكية، للدرجة التي جعلت من دول أوروبا الحليفة لها، مجرد (كومبارس)، أحياناً ينطقون، وفي أغلب الأحوال يصمتون، بالنسبة للأدوار التي تحملها الولايات المتحدة الأمريكية.

هكذا كان الوضع قبل أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، حيث تمركزت مصادر القوة في يد الولايات المتحدة الأمريكية، يشاركها في ذلك عن بعد الدول الأوروبية. ووقعت صدمة ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وكانت تأثيراتها قوية ومباشرة على جميع دول العالم، بلا استثناء. فعلى سبيل المثال، بعد تلك الأحداث، من المتوقع أن يحمل المستقبل للدول النامية، صدمات وصددمات، وخاصة بعد أن أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية صراحة، بأن من ليس معها، فهو عليها، وبعد أن قسمت العالم إلى حلفاء وأعداء، وبعد أن حدد (بوشي) الإبن دولاً بعينها، تمثل محوراً للشر، لأنها تساعد وتدعم الإرهاب على مستوى العالم.

تأسيساً على ما تقدم، وفي ضوء إننا نعيش الآن، في عالم لا تسوده النزاهة، ولا يخضع لاية معايير قانونية وسياسية وأخلاقية واضحة، فمن المتوقع أن يحمل لنا المستقبل الصدمات التالية:

(١) صدام الحضارات :

تأكيد الدول المهيمنة - وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية - قوة الاقتصاد العالمي الجديد . وكنتيجة طبيعية لتلك القوة، تتأكد من وجهة نظر تلك الدول جدوى وأهمية فكرة تصادم الحضارات . لذلك، من المتوقع أن تسعى دول الشمال جاهدة إعادة تشكيل العالم، وتقسيمه، وتوزيعه، على أسس قديمة، كانت سائدة ، قبل القرن التاسع عشر (فترة الاحتلال والاستعمار العسكري)، حيث يجرى إحياء تلك الأسس بصياغات حديثة عن الإيديولوجية والسياسة والاقتصاد والثقافة .. إلخ .

(٢) اختفاء نقطة التراث :

ونتيجة للصدمة السابقة، قد تظهر صدمة أخرى لاتقل قسوة وفداحة، تتمثل في المحاولات المقصودة من دول الشمال لإخفاء كلمتي: «تراث Heritage، وتقاليد Tradition's»، والانتصار على استخدام لفظة «ثقافة Culture» وتفرعاتها، رغم أن الدول المتقدمة ذاتها، قد حققت الحداثة، عن طريق السياسات والقرارات العقلانية، ولم تهجر أبداً جميع موارثها، أو تقاليدها، أو أعرافها .

(٣) التطرف والإرهاب :

يربط الدول النامية بعمامة، والدول العربية بخاصة، بظهور دعوات التطرف، وبممارسة أنشطة الإرهاب، لذلك من المتوقع أن يكون ذلك ذريعة أمام الدول التكنولوجية المتقدمة لفرض شروطها على الدول النامية والعربية، من حيث: (١) الخطط التنموية الاقتصادية، (٢) الحدود التي يجب ألا تتجاوزها بالنسبة لتسليح جيوشها، (٣) قوانين الهجرة إلى دول الشمال، (٤) المواد المنشورة في أجهزة الإعلام المختلفة (صحف ومجلات، إذاعة، تلفاز) .. إلخ .

(٤) القوة في تنظيم العلاقات :

يربط السياسة الدولية بمعيار واحد، هو معيار القوة المهيمنة والتسلطة فقط، وبذلك يتم الاستغناء عن جميع المعايير القانونية والسياسية والأخلاقية، التي تنظم العلاقات بين الدول بعضها البعض من جهة، وبين الأفراد في كل دولة من تلك الدول من جهة ثانية، وبين الأفراد بعضهم البعض في الدول المختلفة من جهة ثالثة، وكنتيجة طبيعية لما تقدم، قد تظهر العديد من السلبيات، نذكر منها على سبيل المثال، وليس الحصر، الآتي :

- القوة إما كان مصدرها أو صورتها، هي لغة التعامل .
- المصلحة تبرر الوسيلة .
- الأخلاق النبيلة للفرسان، لا محل لها من الإعراب .
- التعامل من أجل تحقيق المصالح الخاصة المشتركة فقط، بين الأفراد والدول، على السواء .
- الخطاب الإنساني، الذي يقوم على أساس التعامل الكفوؤ والمتكافئ، لا وجود له .
- السيطرة على عقل الإنسان وتفكيره .
- تبرير الأعمال غير المشروعة، سواء صدرت من جهات مسئولة، أو من أفراد .
- استغلال العلم فى تحقيق أهداف وأغراض غير إنسانية، تمس الحياة المباشرة والطبيعية للفرد .

(٥) عدم توزيع الأدوار بعدالة:

زيادة وزيادة كراهية الأفراد العاديين للولايات المتحدة الأمريكية لانحيازها الكامل لإسرائيل، ولعدم محاولتها تسوية قضية فلسطين على أساس عادل، قد يترتب عليه زيادة عنف الشارع ضد المصالح والمشروعات الأجنبية، والعمل على مقاطعة الولايات المتحدة الأمريكية، فى شتى المجالات والميادين . وعلى الرغم من أن الإجراء السابق، يبدو وكأنه الإجراء الطبيعى، فإن له العديد من السلبية بالنسبة للدول العربية، طالما مازالت تعتمد على دول أخرى فى عديد من متطلباتها الأساسية . فعلى سبيل المثال، قد يهتز إقتصاد دولة بعينها، إذا هربت المشاريع التنموية الاقتصادية إلى مكان آخر، يتوافر فيه المزيد من الأمن والأمان .

(٦) الغيبوبة الثقافية وظهور لغة المصالح :

قد تتحقق الغيبوبة الثقافية **Cultural Trance**، بسبب تشكيل مصادر خارجية، يساعدها عوامل داخلية، فى بعض الرموز والقادة ونظم التعليم وإهمال الرعاية الثقافية . وقد تزداد حدة تلك الغيبوبة لانقثار الحياة الثقافية لنبل القصد وترفع الحاجات، بسبب ظهور لغة المصالح - كما قلنا من قبل - على مستوى جميع الفئات، بلا استثناء . ونتيجة لذلك، من المتوقع زيادة المساعى بطرق غير مشروعة وغير إنسانية، لتحقيق أهداف خفية تحتية، قد يترتب عليها :

- التهافت على المناصب والكراسى، والسعى وراء مصالح زائلة .
- التحرك سياسياً على أساس دوافع إيديولوجية، وراءها أغراض وأهداف ومصالح خاصة .
- ظهور الشللية والانقسامات القبيحة .

- تبرير الأحداث من خلال التضخيم الإعلامي.
- محاولة إحتواء المعارضين بأى طريقة أو ثمن.
- ونتيجة للسلبيات آتفة الذكر، من المتوقع ظهور الأمراض الثقافية التالية:
- إهمال القضايا الثقافية والإجتماعية والتربوية والتعليمية المجادة.
- تداخل الألوان، بحيث يكون لكل مجال مقال، ولكل موقف شعار.
- الانقسام الحاد بين المثقفين، ومحاولتهم تصفية بعضهم البعض.
- غياب الموضوعية فى الأحكام، وتقويم المواقف على أساس غير عقلانى.
- غياب الوسطية، بسبب التصنيف على أساس: مع أو ضد.

(٧) المال الذهنى وتأكيده الإدارة المجتمعية:

تأكيد عبقرية المال الذهنى على شركات ومؤسسات بعينها، فى بعض البلدان المتقدمة، دون مراعاة ذلك المعيار فى الدول النامية على أساس مجتمعى كامل ومتكامل، بسبب ظروفها الاقتصادية، قد يكون السبب المباشر فى تحقيق التهميش والتفتيت والانهيال للدول النامية، فى ظل ظروف العولمة والانتقال إلى اقتصاد المعرفة. ان عدم تطوير الدول النامية للتكنولوجيا، التى تسهم فى تحقيق عبقرية التوجه المجتمعى، يؤدى إلى صعوبة - وأحياناً إستحالة - اللحاق بعصر المال الذهنى، رغم إن ذلك يمثل تحدياً كبيراً يفرضه الزمن الحالى، على جميع الكيانات فى الدول النامية. وتتجلى الصدمة المستقبلية بصورة سافرة، على الدول النامية، إذا حاولت الدول الغنية فرض النموذج الخاص بها، عن عبقرية المال الذهنى، مثل: تأكيد الأهمية الأساسية لدور الفرد، دون إهتمام يذكر بالإدارة المجتمعية، رغم الدور المهم لهذه الإدارة فى تحفيز «الإبداع المجتمعى»، الذى يسهم بدوره فى حضارة الإبداع الفردى.

(٨) العلم والمنهج العلمى:

فى خضم الحركة التقدمية الجبارة للعلم، ينتصب مارد المنهج العلمى، بوصفه القوة المثمرة الولود، لكل ما يتواتر من تغيرات، تؤكد صحتها أو عدم صحتها وقائع التجريب، مع الأخذ فى الإعتبار أن النظرة الفلسفية، هى التى تصوغ المنهج العلمى التجريبي، الذى ينطلق من إبداعات عقل الإنسان. ومن المتوقع زيادة إفراز عقل الإنسان، فى ضوء التقدم التقنى العظيم الذى يشهده العالم، حيث يقوم هذا التقدم على فلسفة تعتمد البحث العلمى، كفاعلية مستمرة تحمل فى صلب ذاتها عوامل تناميها المتواصل دائماً. وتكمن صدمة المستقبل بالنسبة للدول النامية، التى تسعى لتفعيل قدراتها العلمية البحثية، عندما تكتشف حقيقة وواقع خططها البحثية، حيث: (١) تفتقر الخطط البحثية لفلسفة

واضحة المعالم، (٢) اليون شامع بين أهداف هذه الخطط وأهداف نظرياتها في الدول المتقدمة، (٣) تدنى الإمكانيات المادية المخصصة للبحث العلمي في الدول النامية، (٤) عدم وجود الكوادر البشرية المدربة من الباحثين المساعدين، ومن الإطاريين والعمال الفنيين المساعدين (الصف الثاني)، (٥) عدم توافر التقنيات (الأجهزة والمعدات) الحديثة، التي يحتاجها البحث العلمي في عصرنا الراهن، (٦) عدم توافر الكتب والمراجع الورقية والإلكترونية.

(٩) التقسيم غير المتكافئ لفرص العمل:

تكرس إدارة العوالة تقسيماً غير متكافئاً للعمل بين الشمال والجنوب، لذلك تواجه البلدان النامية شتى القيود على التدفق الحر للمعرفة والتكنولوجيا المترتبة على اتفاقية حماية حقوق الملكية الفكرية في إطار منظمة التجارة العالمية. وعليه، بالنسبة للدول النامية فيما يختص بتكافؤ الفرص في العمل بين الشمال والجنوب، تتمثل صدمة المستقبل في عدم إنصاف إدارة العوالة لها، عن قصد وعمد، وذلك يجعل الوصول إلى فرص ومكاسب العوالة بالنسبة للدول النامية، عملية صعبة للغاية، كما يسهم في تقليص فرص مشاركة تلك الدول في مؤسسات إدارة العوالة، ووضع قواعدها. ومن جهة أخرى، فإن تناقص عدد السكان في الشمال، دعا دول الشمال أن تعمل جاهدة لاستنزاف عقول أهل الجنوب، عن طريق تسهيل هجرة العمالة المدربة والكوادر المؤهلة، وتقديم فرص عمل لهم، إن لم تكن مغرية، فإنها تكون معقولة ومقبولة، أو تكون - على أقل تقدير - غير متوافرة في بلدانهم الأصلية. وذلك يمثل صورة ثاقبة لصدمة المستقبل، إذ من المتوقع تفاقم اختلال توزيع الثروة لصالح الشمال، دون إهتمام يذكر بتقديم الشمال العمون اللازم للارتقاء بمدخلات التنمية الشمالية في بلدان الجنوب.

(١٠) حروب المستقبل:

على الرغم من أن الحروب تهدم أسس القيم المدنية، فإن الحكومات التي تشن الحروب العدوانية، تسعى لإقناع المواطنين البسطاء بأن الحرب ضرورة واجبة، للدفاع عن الأفكار النبيلة، أو توسيع دائرة تطبيق تلك الأفكار. وتتمثل صدمة المستقبل بالنسبة للدول المتقدمة والنامية على السواء، في عدم التناسب الخطر بين قوة التدمير المادية والقوة البنائة للحكمة الإنسانية. إن العالم بجميع أركانه، مطلوب منه اليوم، تمرية الاستخدام المجنون للقوة، حتى لا تحدث الكارثة. بمعنى؛ يجب على العالم العمل مع الإنسانية كلها، لخلق وسائل للحوار العقلاني، وإقامة علاقات اقتصادية متوازنة، وتحقيق العدل، حتى لا تنفجر وتتفجر الأحداث المؤلمة، التي تأتي على الأخضر واليابس، سواء أكان ذلك على المستوى الداخلي، أم الخارجي.

(١١) هيمنة الآلة على الإنسان :

تسيطر حالياً الآلة على شتى مناحي الحياة، لذا إرتفعت قيمة الآلة، في مقابل إنخفاض قيمة الإنسان. ونتيجة لهيمنة الآلة، باتت المعادلة التي تحكم وتتحكم في نظام تشغيل الإنسان، هي : ٨٠٪ لا يعملون، ٢٠٪ يعملون، لذلك إنتشرت البطالة بين الناس، في جميع الفترات العمرية. قد يقال أن ذلك يعطى الإنسان مزيداً من وقت الترفيه عن النفس. هذا صحيح في الدول التي يحصل فيها الإنسان على إعانة بطالة معقولة. ولكن، هذا الأمر لا يتحقق في غالبية دول العالم، حيث لا يتم إعطاء الإنسان في بعض الدول أية إعانات، بينما يتم إعطاء الإنسان في دول أخرى، ما يكفي بالكاد لماكله ومسكنه، على أساس مستوى معيشى متواضع ومتدنى للغاية. ومن المتوقع زيادة نسبة عدد الذين لا يعملون في المستقبل القريب، بحيث ترتفع عن ٨٠٪. لذلك، فإن بطالة الشباب، سوف تمثل صدمة موجهة، بالنسبة لجميع الدول، بلا إستثناء. وسوف تتفاقم أبعاد وحدود هذه المشكلة مستقبلاً في الدول النامية، حيث تاكل الزيادة السنوية في عدد السكان جميع المحاولات الجادة لاستيعاب مشكلة البطالة. ناهيك عن أن هذه الدول ذاتها، تعاني من المعجز الاقتصادى وتراكم الديون، مما يجعل غالبيتها تقف عاجزة تماماً، عن مواجهة هذه المشكلة، بحلول جذرية فاعلة.

(١٢) التفكير العلمى :

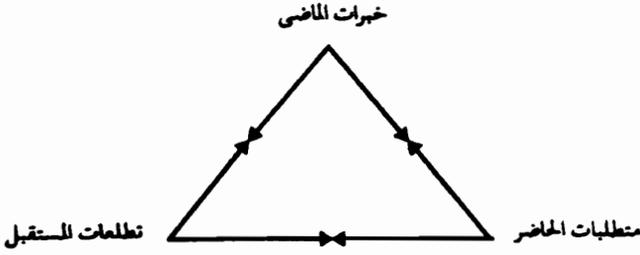
لا نغالى القول إذا أكدنا أهمية التفكير العلمى، كهدف يُقصد لذاته، إذ يبنى عليه العديد من أسس التنظيم الاجتماعى، وفق أطر يتم على أساسها تحديد مقومات الحياة فى أى ثقافة معاصرة. وفى المستقبل القريب حيث ينبغى مواجهة سرعة وكثافة المتغيرات العالمية علمياً وتقنياً، وحيث يجب مواجهة آثار الهندسة الوراثية على حياة البشر، من المتوقع أن يواجه الفرد عديداً من المشكلات الوظيفية والأسرية، بسبب التعقد المتنامى فى العلاقات بين الافراد بعضهم البعض. ومن هنا تظهر أهمية التفكير العلمى، الذى على أساسه يستطيع الفرد إيجاد حلول إبداعية وغير نمطية للمشكلات، التى قد تصادفه. إن صدمة المستقبل سوف تتمثل فى غزارة وكثافة حجم الصعوبات المادية والمعنوية والعلمية والتقنية، التى قد يمجج بها العالم مستقبلاً، وخاصة أن التعليم لايسهم بدرجة كبيرة فى الدول النامية، فى إكساب المنهج العلمى فى التفكير، مما يحول دون تحقيق المتعلمين أساليب الإبداع والاختراع والتكنولوجيا، ودون إكسابهم الفكر الإيجابى فى التعامل مع جميع مناحى الحياة.

ثانياً : منظومة التعليم المدرسه فه مقابلة صدمات المستقبل :

يمكن تحديد الابعاد الاساسية لمحتوى المادة الدراسية (التعليمية / التعليمية)، فى الآتى :

- خبرات الماضي .
- متطلبات الحاضر .
- تطورات المستقبل .

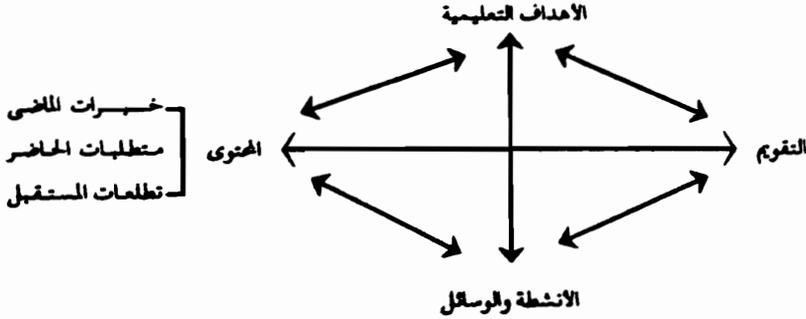
ويمكن تمثيل منظومة أبعاد منظومة المحتوى، في الشكل التالي :



شكل (١)

منظومة محتوى المادة الدراسية

ومنظومة محتوى المادة الدراسية هي منظومة فرعية من منظومة المنهج، التي تتكون من عناصر أربعة، يوضحها الشكل التالي :



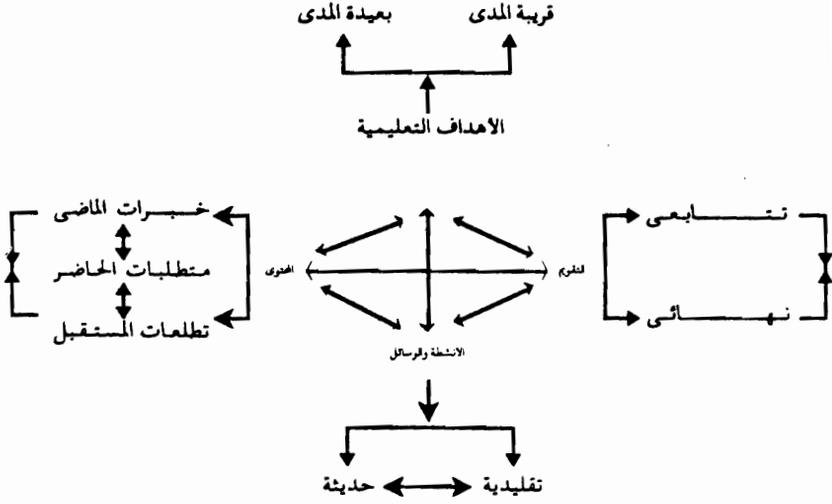
شكل (٢)

منظومة للمنهج

ومن منطلق الشرح المختصر للأبعاد التالية :

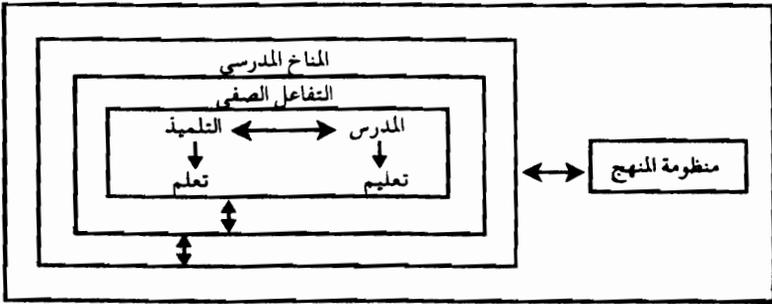
- * الأهداف التعليمية: أهداف قريبة المدى - أهداف بعيدة المدى
- * الأنشطة والوسائل: وسائل تقليدية - تقنيات حديثة .
- * التقويم: تنابهي - نهائي .

يمكن أن تكون منظومة المنهج في الشكل التالي :



شكل (٣) : منظومة المنهج في صورتها الشاملة

ولكى تحقق منظومة المنهج فاعليتها، يجب أن تكون في علاقة تبادلية التأثير بمنظومة المناخ المدرسي، حيث تكون هاتين المنظومتين في ظل علاقة التأثير والتأثر التي تحكمهما، منظومة التعليم المدرسي، كما يوضح ذلك الشكل التالي :



شكل (٤) : منظومة التعليم المدرسي

ويظهر الشكل (٤) أن نطاق منظومة التعليم المدرسي يتضمن العناصر التالية (أى أن العناصر التالية تقع تحت مظلة المنظومة المعنية) :

- العامل البشري: المدرس والتلميذ .
- العامل التقني: الوسائل والتكنولوجيا التعليمية .

* العامل الإدارى : اللوائح والقوانين للمنظمة للعمل داخل الفصل وفى المدرسة.

* العامل التخطيطى : الأهداف التعليمية.

* العامل التعليمى / التعلمى : أركان المحتوى.

* العامل التقييمى : الاختبارات والامتحانات

وقبل التطرق لتأثيرات وتفاعلات العوامل السابقة بالنسبة لمقابلة الصدمات المتوقع حدوثها مستقبلاً، بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، يجدر الإشارة إلى أن عالم الغد المزعج والمالم والمضطرب يندفع نحونا بمعدل متزايد السرعة. وقد ظهرت تباشير تؤكد ذلك الأمر، سواء أكانت من الناحية العسكرية، أم الإقتصادية، أم العلمية، . إلخ. فعلى سبيل المثال، بسبب أحداث ١١ سبتمبر، حدثت هزة إقتصادية فى البورصات العالمية، ومن المتوقع حدوث هزات أخرى، فى أسواق المال، فى المستقبل القريب. أيضاً، حدث إعادة توزيع لمراكز القوى العسكرية على مستوى العالم، حيث تحركت الجيوش وتمركزت بصفة أساسية، فى مناطق جغرافية جديدة لم تكن موجودة فيها من قبل، بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

وبعامة، إذا كان المستقبل يقبل علينا، ويتدخلنا أو دونه، ستتغير حياتنا بدرجة ما، فإنه بعد حدوث أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، من المتوقع أن يعاني الإنسان فى أى مكان من صدمات وصدمة، لعل من أبسطها، ما يلى :

- فرض قيم سلبية مقصودة على الإنسان (قد تكون معنوية أو مادية) .
- عجز الإنسان عن استثمار استشرافات المستقبل وفقاً لإرادته، وتحقيقاً لمصلحته .
- افتقار المناشط الإنسانية للمتعة والجمال، مما يجعل الإنسان يعيش فى قلق وحيرة، وقد يسهم ذلك فى تليد وتبلد مشاعر الإنسان .
- وضع حدود لحرية الإنسان .
- مواجهة خيرات حياتية صعبة، سواء أكان ذلك على مستوى الأسرة، أم العمل .
- حدوث ثورة معلوماتية هائلة، قد تكون تأثيراتها سلبية على فكر وتفكير الإنسان .
- تأسيساً على ما تقدم، يمكن تحديد دور منظومة التعليم المدرسى - بإيجاز - فى مقابلة صدمات المستقبل آتفة الذكر، فى الآتى :
- (١) تأكيد أهمية لقاء الحضارات والتنوع الثقافى .
- (٢) إبراز دلالة لفظتى : التراث والتقاليد، ودورها الفاعل فى تحقيق الهوية الذاتية .
- (٣) تشجيع الجهود الخاصة والعامة، أو المحلية والعالمية، التى تقاوم عمليات التطرف والإرهاب .

- (٤) رفض معيار القوة المهيمنة الواحدة، وقبول المعايير القانونية والسياسية والأخلاقية، التي تحكم وتتحكم فى العلاقات بين الأفراد أو الدول، على حد سواء .
- (٥) إظهار أهمية توزيع الأدوار بعدالة، ضماناً لتحقيق الأمن والأمان، سواء أكان ذلك على مستوى الأفراد، أم الدول .
- (٦) تحقيق الرعاية الثقافية، التي تسهم فى تحقيق المقاصد الإنسانية النبيلة .
- (٧) تأكيد الإدارة المجتمعية، دون الإقلال من شأن ودور الفرد .
- (٨) إتباع المنهج العلمى، الذى يسهم فى تحقيق إبداعات العقل الإنسانى .
- (٩) تكافؤ فرص العمل، بحيث تكون الكفاءة والجودة هما أساس الاختيار، عند المفاضلة بين الأفراد، أو الجماعات، أو المؤسسات .
- (١٠) رفض فكرة الحروب كأساس لحل المشكلات الفردية، أو المحلية، أو الدولية .
- (١١) وضع حدود قاطعة ونهائية لهيمنة الآلة على الإنسان .
- (١٢) اتباع التفكير العلمى فى حل المشكلات .

وللأمانة نقول، إن ما قدمناه فيما سبق، مجرد رؤوس لموضوعات، تحتاج دراسة كل منها، لبحث مستقل بذاته . وعليه، يمكن أن تتحمل بحوث تالية هذه المسؤولية، بحيث تقدم خطوات إجرائية تفصيلية .

خلاصة القول :

أبرز الحديث السابق أن العالم يعيش فى أزمة حقيقية، بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، قد تكون نتيجتها مجموعة من الصدمات، التي بدأت تظهر تباشيرها فى وقتنا الحالى، والتي سوف تتأكد فى المستقبل القريب . ولهذا يجب أن تسهم منظومة التعليم المدرسى (بعواملها: البشرية، والتقنية، والإدارية، والتخطيطية، والتعليمية / التعلمية، والتقييمية)، فى مقابلة تلك الصدمات . وإذا كان الحديث السابق قد أعطى بعض الخطوط العريضة فى هذا الشأن، فالأمر بالنسبة لإبراز دور منظومة التعليم المدرسى فى مقابلة قضية صدمات المستقبل المتوقعة، يحتاج للمزيد من الدراسات والبحوث، فى شتى الميادين .

المراجع

إعتمد الباحث في إعداد هذه الورقة البحثية على:

(١) مجدى عزيز إبراهيم، للنهج التربوى وتحديات العصر، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٢.

(٢) مجموعة مقالات منشورة فى جريدة الاهرام (مرتبة حسب حداثة تاريخ النشر)، وهى:

* سامى خشبة، «التراث والتغير الاجتماعى: لماذا استبدل الغرب (الثقافة) بـ التراث؟»، ٢٨/٦/٢٠٠٢.

* امل سعد، «العلم.. بين الإنسان والآلة»، ١٠/٦/٢٠٠٢.

* هدى الشناوى، «المنهج العلمى والإبداعى فى التفكير.. سبيلنا للمستقبل»، ٩/٦/٢٠٠٢.

* محمد رؤوف حامد، «العرب ورأس المال الذهبى والعولمة: بدلاً من مخاطر التهميش والتفتت»، ٢٩/٥/٢٠٠٢.

* السيد يسين، «استجابة المثقفين فى العالم»، ٢٣/٥/٢٠٠٢.

* مرسى عطا الله، «ضرورة مراجعة الوسائل حتى تمر العاصفة!»، ٢٣/٥/٢٠٠٢.

* طه عبد العليم طه، «الأمن القومى فى عصر العولمة»، ١٧/٥/٢٠٠٢.

* السيد يسين، «إعلاء للقيم أم دفع عن المصالح؟»، ١٦/٥/٢٠٠٢.

* يمنى طريف الخولى، «الثقافة العلمية من المنظور الفلسفى»، ٢٤/١٢/٢٠٠١.

* فاروق جويده، «حول الثقافة.. والمثقفين»، ٥/٨/٢٠٠١.

الفصل السابع

دور الثقافة العلمية والتقانية

في تنمية مخرجات منظومة التعليم

بما يتوافق مع متطلبات عصر العولمة*

• تمهيد

• المقصود بالثقافة العلمية والتقانية.

• منظومة التعليم في ضوء متطلبات عصر العولمة.

• دور الثقافة العلمية والتقانية في تنمية مخرجات منظومة التعليم،
بما يتوافق مع متطلبات عصر العولمة.

مخلص:

بادئ ذي بدء، يجدر الإشارة إلى أن واحدة من أهم عناصر القوة، هي ما سماه عميد جامعة هارفارد الدكتور جوزيف فاي «القدرة الناعمة للدولة»، هذه القدرة الناعمة تعتمد على الإنتاج العقلي والفكري للبشر، هي الثقافة المفيدة^(١).

ومن وجهة نظرنا، إذا ارتبطت الثقافة بصفتي: العلمية والتقانية، فإنها تمثل قدرة هائلة في نعمتها، بالنسبة للإبداع والتكيف مع ظروف عصر العولمة، كما تمثل الأساس الطبيعي لمقابلة تحديات العصر ومتغيراته ومتطلباته، وخاصة إذا استهدفت الثقافة العلمية والتقانية تنمية منظومة التعليم.

وقد يقول قائل: «إن الحديث السابق سهل ومتداول، ولكن من الصعب بمكانة تحقيقه إجرائياً».

هذا صحيح، لذلك يوجه هذا الحديث جل اهتمامه نحو محاولة التصدي لدور الثقافة العلمية والتقانية في تنمية منظومة التعليم، بما يتوافق مع متطلبات عصر العولمة، من خلال دراسة الموضوعات التالية:

* المقصود بالثقافة العلمية والتقانية.

* منظومة التعليم، في ضوء متطلبات عصر العولمة.

* دور الثقافة العلمية والتقانية في تنمية مخرجات منظومة التعليم، بما يتوافق مع متطلبات عصر العولمة.

وفيما يلي شرح موجز للموضوعات الثلاثة السابقة:

أولاً: المقصود بالثقافة العلمية والتقانية:

يعبر العلم عن وجود الإنسان وحضوره، في هذا الكون، لذلك يمثل العلم جانباً مهماً من جوانب الحضارة الإنسانية. ومن هنا، فإن الوعي الشامل بالعلم كظاهرة إنسانية، لهو إنعكاس لمدى تفعيل ثقافة فلسفة العلم ذاتها.

تأسيساً على ما تقدم، يكون للثقافة العلمية دورها الفاعل في تأصيل وتوطين عوامل التنهيز والتنمية المرجوة، وفي الوعي الشامل بظاهرة العلم نفسها^(٢).

والسؤال: ما المقصود بالثقافة العلمية؟

في دراسة عنوانها: «المنهج التربوي وتأصيل الثقافة العلمية»، حدد الكاتب تعريفاً للثقافة العلمية، هو:

الراسب المتبقى في عقول ووجدان الأفراد المهتمين بالعلم النظرى والتطبيقي، بحيث يتضمن هذا الراسب شتى ألوان المعرفة العلمية، والفنون، والآداب، وأساليب الحياة، وحقوق البشر الأساسية، والقيم الخاصة بالانتماء والتقاليد والأعراف والمعتقدات، وبحيث يعكس هذا الراسب الخبرات والتجارب السابقة، والخلاصة الحية لمنجزات الماضي والحاضر. ومن خلال هذا الترسيب، يكون الفرد على وعى وإدراك كاملين بموضوعات بعينها^(٣).

وبعد أن قدمنا تعريفاً للثقافة العلمية، تكون الخطوة التالية تحديد ماهية الثقافة العلمية والتقانية، مع مراعاة أننا لا نفصل الجانب العلمى عن الجانب التقنى، عند تحديد ماهية الثقافة العلمية والتقانية، لأننا لو فصلنا كل جانب عن الآخر، فسوف نتحدث عن الثقافة العلمية بمعزل عن الثقافة التقانية، وبذلك يكون لدينا ثقافتين، وذلك لا يتفق مع هدف الدراسة الحالية، الذى يقوم على أساس وجود ثقافة واحدة، لها جانبين: العلمى والتقنى.

وفى هذا الصدد، نشير إلى مفهوم التكنولوجيا على أنها: «مجموعة المعارف والمهارات التى تمكن من إنتاج سلعة عادية أو خدمة. وتتضمن المعارف والمبادئ الأساسية للعلوم، بما تحويه من قوانين الطبيعة والعلاقات الإمبريقية، وكذلك الأساليب الفنية والهندسية اللازمة للتطبيق. وتأثر المعرفة بالمستوى العالمى المعاصر، وتتغير بما يحمله المستقبل من احتمالات الاكتشافات العلمية الكامنة فى الخليقة. أما المهارة، فتتوقف على الحافز الشخصى للفرد لرفع وتنمية قدراته المهارية.

والتكنولوجيا بصفة عامة تنصب فى النهاية على الدراية الفنية (Know how). إن تعريف مُعدّة ما لا تدخل ضمن الاستحواذ على التكنولوجيا. وبذلك، فإن استيراد معدات حديثة أو تسليم مفتاح مصنع لا يعنى إلا شيئاً واحداً، وهو استخدام معدات حديثة، هى تكنولوجيا ابتكرت فى مكان آخر. وتتضمن أى سلعة قدراً من التكنولوجيا فى صورة المعارف والمهارات، التى استخدمت فى إنتاجها، وكلما زاد هذا القدر ارتفعت السلعة وارتفع ثمنها. وتسمى السلع كثيفة التكنولوجيا بسلع التكنولوجيا الرفيعة (high tech)^(٤).

ومما هو جدير بالذكر إن التكنولوجيا - التى تتمثل فى نمط الإنتاج الصناعى رفيع المستوى، كما أوضحنا من قبل - صاحبها (بدءاً من الإلهام والتمهيد، ثم المعيشة والتنفيذ) نشاطاً فكرياً، «يقوم فى جوهره على العقل غالباً كمتصل، ويؤسس لرؤية حدائية ترى الذات الفردية فى مركز الوجود، وتشعر أنها مهيمنة على أشكاله من حولها، وتحس فيها القدرة على إعادة صياغته اجتماعياً وسياسياً، بعد أن زادت معارفها وقدراتها

على التحكم النسبى مادته الطبيعية عبر اكتشاف متزايد لقوانينها، وحركة حثيثة وناجحة لفهم منطقتها^(٥).

ولكن، هل يعنى الحديث السابق أهمية أن يفهم المشقف دقائق التكنولوجيا وآلياتها؟^{١٤}.

يجيب (يحمى الرخاوى) عن السؤال السابق بطريقة مباشرة، عندما يقول :

«إنه لايكفى حتى أن يكون أى واحد مثقفاً أن يعرف شيئاً عن كل شيء، بل إنه لم يعد يصح أيضاً أن نعتبر من يستوعب جُماع وعى ناسه دون مسئولية أو تحريك أو إضافة هو المشقف الذى يمثلهم. إن هذه المراجعة الحالية هى بمنزلة دعوة لكل الناس، وبالذات للصفوة الفخورة بمعلوماتها ومعارفها، المتميزة بإنجازاتها وإضافاتها، لإعادة النظر فى موقفها»^(٦).

إذاً، ليس من الضرورى أن يتمكن المشقف من دقائق التكنولوجيا وآلياتها، ولكن يجب عليه - فى الوقت نفسه - أن يكون على دراية كاملة بأحوال التكنولوجيا من حيث هويتها : أهى محلية أم مستوردة؟، ومن حيث دورها فى التقدم العلمى والمهنى والاقتصادى... إلخ، ومن حيث مدى تمكن المهندسين والفنيين من استخدامها لإختراع تكنولوجيا أحدث، ومن حيث سيادتها أو عدم سيادتها على وسائل الإنتاج الأخرى... إلخ.

تأسيساً على ما تقدم :

الثقافة العلمية والتقانية، لا تعنى فقط الراسب المتبقى فى عقول الأفراد المهتمين بالعلم النظرى والتطبيقى فقط، بل تعنى أيضاً المكتسب من خبرات تعتمد على العلم والتكنولوجيا آتياً، بحيث تكون هذه الخبرات : علمية، أو اقتصادية، أو سياسية، أو فنية، أو اجتماعية، أو صحية، أو إعلامية... إلخ. وسواء عبرت الثقافة العلمية والتقانية عن الراسب أو المكتسب، فإنها تعتمد على نشاط فكرى، يقوم على آليات العقل، التى تعمل على تفعيل أدوار يمكن تحقيقها، من خلال ذلك الراسب أو المكتسب، بما يواكب ظروف العصر، ويتوافق مع متطلباته.

فى ضوء ما تقدم، فإن تعريف الثقافة العلمية والتقانية، يمكن أن تشير إلى أهمية تحقيق الآتى :

- معرفة كينونة أدوات حقيقية لإكتساب الثقافة العلمية والعملية، دون النظر إلى تلك الأدوات من حيث : الشكل والإبهار.

- قراءة ما بين السطور، أو استقراء الأحداث، قد يعبر عن قضايا خفية أكثر أهمية، مقارنة بالمضمون الشكلى الواضح والصريح.

- أولية التدريب على الأدوات التكنولوجية، التى تسهم فى تفعيل الفكر.

- استخدام مناهج علمية لاكتساب الثقافة النظرية والعملية، تتلاءم مع محددات فكرية، وتوافق مع منطلقات اجتماعية وسياسية واقتصادية، تخدم محاور وأهداف التنمية الإنسانية.

- مراعاة الجانب القيمى عند اكتساب الثقافة العلمية والعملية.

- الثقافة العلمية والعملية تفقد قيمتها وأهميتها، إذا كانت مجرد تحصيل حاصل، دون اهتمام بتفجير دوافع الفرد للإبداع.

- العقل الإنسانى قادر على تخطى ظروف المكان والزمان، فى ظل الظروف المناسبة للإبداع، والمواتية للإنجاز بكفاءة.

- امتلاك الفرد لنوازع داخلية، وتوجهات خارجية، تساعد على تكوين بعض المعارف والتصورات، التى تسهم فى تنمية معارفه العقلية وخبراته التجريبية.

ثانياً: منظومة التعليم فه ضوء متطلبات عصر العولمة :

يحدد (إبراهيم نافع) جوانب المقياس، الذى أساسه يمكن الحكم على مدى «عولمة» دولة ما، ومدى استفادتها من العولمة، فى الآتى (٧) :

* ثقل هذه الدولة على النطاق العالمى - مقيساً بحجم ناتجها القومى الإجمالى، وما إذا كانت دولة من الدول التى تسمى «الرأس» أو دول «الجسم» ؛ بمعنى ما إذا كانت تحدد مسار الآخرين وتسبقهم، أو أن الآخرين يحددون مسارها وتتبعهم.

* مدى إنفتاح هذه الدولة على العالم، وحجم تجارتها - تصديراً واستيراداً - وحجم معاملاتها المالية واستثماراتها فى الخارج من جانب، واستثمارات الأجانب داخل أراضيها من جانب آخر.

* وزن عملتها، وحجم استخدامها - أداة للتبادل - فى المعاملات والصفقات الدولية، وكأداة «لربط» عملات الآخرين بها، بما يكفل لهم استقرار عملاتهم ومدى استخدامها «كمرساة» وسند لعملات الدول الأخرى، واستعمالها فى تسوية الحسابات والمعاملات الدولية، بل «وكمخزن للقيم» وللإدخار، وللوقاية من تدهور قيمة النقود، بل وفى الرهان على ارتفاع قيمتها - قياساً بعملات أخرى - ومن ثم تحقيق مكاسب تهبط من السماء على غير انتظام.

* مستوى التزامها بترتيبات واتفاقيات العولمة ومؤسساتها .

وهكذا يربط (إبراهيم نافع) مقياس الحكم على «عولمة» دولة ما، على أساس اقتصادى بحث، دون النظر إلى أية جوانب أخرى .

ويشير (السيد ياسين) إلى أن قضية العولمة قد تمت مناقشتها، فى مؤتمر (فلنبيوس) فى عام ٢٠٠٠، حيث انقسم المؤتمر إلى ورش العمل الستة التالية :

- المعرفة المتبادلة والتفاعل .

- العولمة والتنوع الثقافى .

- الهويات المتعددة والقيم المشتركة .

- التجارة والعلم والمبادلات الثقافية .

- مسألة الآخر .

- مفاهيم الحضارة فى القرن الحادى والعشرين (٨) .

ومما هو جدير بالذكر أن الكاتب قد ناقش العولمة فى كتابات سابقة، حيث حدد مرتكزات عصر العولمة، وفق الأسس التالية :

المعلوماتية، قبول الآخر، ثقافة المستقبل، التطور الحضارى، الحرية، الديمقراطية، التنمية البشرية، التفكير الإبداعى، الفكر الجديد والمتجدد، والمواطنة على المستويين : المحلى والعالمى (٩) .

تأسيساً على ماسبق ذكره، حدد الكاتب متطلبات عصر العولمة، فى الآتى :

- المعارف والتكنولوجيا التى تساعد على مواصلة الدراسة مدى الحياة .

- جوانب الشفافة الإنسانية التى تبرز الجهود المتواصلة، التى تمت من أجل سعادة، ورفاهية، وأمن وأمان الإنسان، فى كل مكان وزمان .

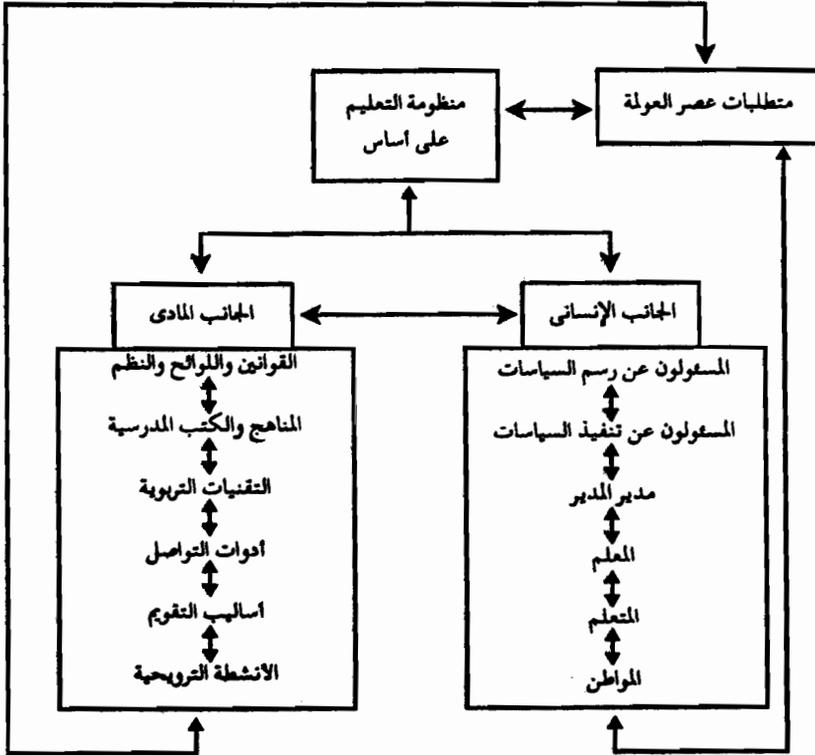
- الخبرات العلمية والمعيشية، التى تساعد على حل المشكلات الحياتية الحالية. وكذا المستقبلية المتوقع حدوثها فى أى مكان .

- الأنشطة الترويجية التى تكسب الإنسان الصفاء الذهنى والسلام الداخلى، سواء أكان الإنسان يعيش فى دولة غنية أم دولة فقيرة .

- الفكر الإنسانى العالمى الذى أسهم فى تحقيق التقدم والحضارة لكل الشعوب، بلا إستثناء .

- أصول وقواعد لعبة الاقتصاد العالمي، وتأثيرها على العلاقات الدولية والمحلية على السواء، من خلال إبراز أهمية التكامل والتنمية الاقتصادية لجميع دول العالم.
- الإعلام كقوة لها تأثير قوى على اختيارات الإنسان، وتوجيه اتجاهاته.
- القوى التي تحكم وتتحكم في تحديد السياسات الدولية.

ويمكن تمثيل منظومة التعليم في ضوء متطلبات عصر العولمة آنفة الذكر، في الشكل التالي (١) ، حيث يبرز هذا الشكل العلاقة تبادلية التأثير بين الجانبين : الإنساني والمادى، إذ دون تحقيق تفاعل كامل ومتكامل بينهما، فإن منظومة التعليم تفشل في أخذ متطلبات عصر العولمة في حساباتها، عند تحديد خطط التعليم، لأن أى جانب من الجانبين السابقين، مهما كان مستوى كفاءته لا يحقق أهدافه، إذا عمل بمعزل عن الجانب الآخر.



شكل (١) : منظومة التعليم في ضوء متطلبات عصر العولمة .

وجدير بالذكر إن التفاعل بين الجانبين : الإنسانى والمادى، يجب أن تكون الديمقراطية نهجه وسبيله. ففي عصر العولمة، حيث تؤكد المواثيق الدولية مبدأ احترام حقوق الإنسان، يجب أن تكون الديمقراطية السبيل لتحديد جوانب الجانب المادى، وأن تكون الأساس للتعامل مع الجانب الإنسانى. إننا نعيش فى عصر السموات المفتوحة، حيث يستطيع المتعلم بكل سهولة - إذا أراد - أن يتعلم بعيداً عن المدرسة، وخاصة إذا وجد أن القوانين واللوائح والنظم التى تنظم طبيعة العمل فى المدرسة، لاتناسبه، لأنها تنسم بالشمولية. وأيضاً، إذا وجد من المسئولين عن التعليم - أما كانت مراكزهم - عدم احترام لإنسانيته وكيونته، أو وجد عدم اهتمام بمطالبه واحتياجاته.

ثالثاً : دور الثقافة العلمية والتقانية فه تنمية مخرجات منظومة التعليم، بما يتوافق مع متطلبات عصر العولمة :

لدراسة هذا الموضوع، يجب أن تكون البداية تحديد مفهوم التنمية الإنسانية لارتباطها بمخرجات منظومة التعليم.

يمكن تعريف التنمية البشرية ببساطة بأنها: عملية توسيع الخبرات، وبالتالي ينبغي أن توجه التنمية وتعمل من أجل توسيع نطاق خيارات كل إنسان فى جميع الميادين، وتعتمد عملية توسيع الخبرات الإنسانية على القدرات والفعاليات من جانب، والفرص المتاحة من جانب آخر، أى التنمية البشرية تتكون من معادلة طرفها الأيمن يتكون من القدرات الإنسانية، بينما يتكون طرفها الأيسر من الفرص الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للمكنته للإنسان من إعمال قدراته الإنسانية^(١٠).

إذاً ينبغي أن تولى التنمية البشرية جل اهتمامها نحو قطاع الشباب، باعتباره من ناحية يمثل القسم الأوفر فى أى مجتمع، وباعتبار أن الشباب هم الفاعلون Actors فى مستقبل التنمية. لذلك، من المهم ربط الأبعاد الكيفية لمنظومة التعليم بمفهوم التنمية البشرية، من منظور مدى توافق هذه المنظومة مع مستوجبات عصر العولمة. وهنا، قد نجد من الضرورى تقديم رؤية متكاملة لإصلاح التعليم فى جميع جوانبه، وإن كان الحديث هنا يقتصر فقط - على دور الثقافة العلمية والتقانية فى تنمية منظومة التعليم.

وقبل الاستطراد فى تحليل منظومة التعليم، فى ضوء مفهوم التنمية البشرية نجد أن مصطلح التنمية المستدامة يطل علينا برأسه فارضاً نفسه بقوة، على أساس أن منظومة التعليم لا يمكن أن يكون لها وجود حقيقى، دون تأكيد علاقتها الوثيقة بالبيئة، إذ إن التربية المستدامة شرط أساسى للتنمية البشرية.

ولكن : ما المقصود بالتنمية المستدامة؟

التنمية المستدامة : اصطلاح شاع استخدامه في تقرير لجنة الامم المتحدة للبيئة والتنمية (U N Commision for Environment and Development) التي رآستها (جمرو هارلم برونتلاتد Gro Harlem Brundtland) رئيسة وزراء النرويج السابقة، التي أصدرت تقريرها المعنون «مستقبلنا المشترك» (Our Common Future). وصاغ التقرير هذا المفهوم ببساطة، حيث ينص : «إن التنمية المستدامة هي توفير احتياجات الأجيال الراهنة من دون حرمان الأجيال القادمة من حقها في الحصول على احتياجاتها»^(١).

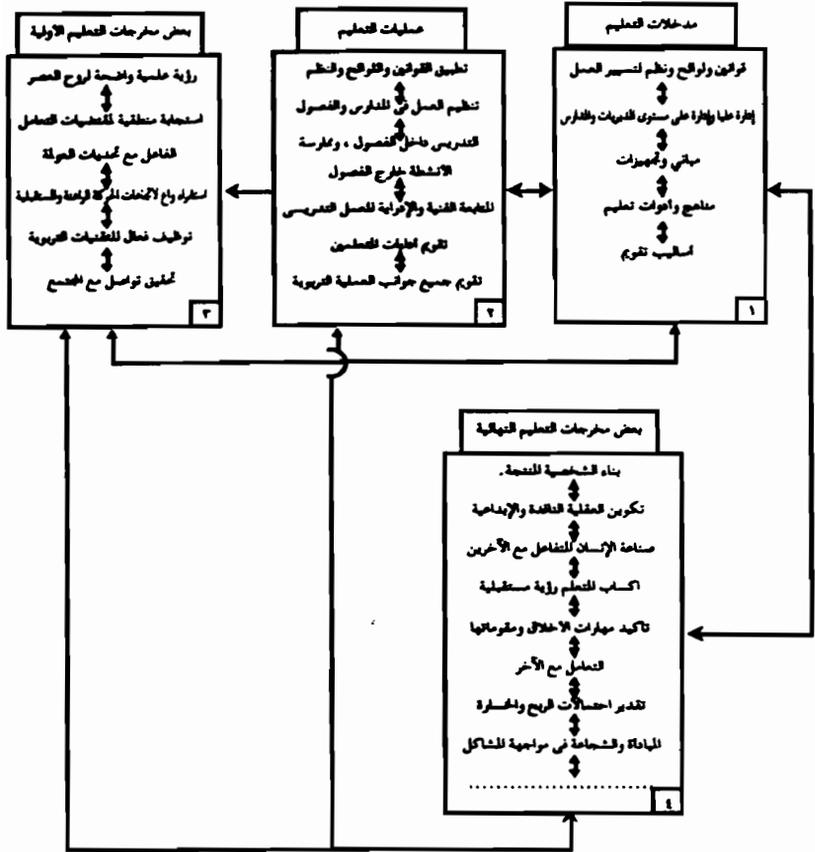
ونلاحظ مما تقدم، إن الإنسان يمثل الاهتمام المشترك لكل من التنمية البشرية والتنمية المستدامة، وإن كانت الأخيرة تنظر بعين الاعتبار إلى احتياجات الأجيال القادمة، كما أنها ترتبط ارتباطاً مباشراً بالبيئة.

إذاً، على أساس أن الإنسان يمثل المردود الأساسي لعملية التنمية، أيأ كان نوعها أو طبيعتها، فإنه يمثل في الوقت نفسه المخرج الرئيس لمنظومة التعليم، وذلك ما يمثله الشكل التالي :

ويظهر الشكل السابق أن عمليات التعليم التي يتم إجراؤها على مدخلاته، لها مردودات على مستويين، أولهما : يمثل الخطوة الأولية في بناء الإنسان في ضوء متطلبات العصر وظروفه، وثانيهما : يمثل الخطوة النهائية في بناء الإنسان في ضوء مفهوم التنمية البشرية.

وقد يقول قائل : «إن الهدف النهائي لمنظومة التعليم هو الإنسان (المتعلم)، فلماذا تتضمن منظومة التعليم المستوى الأول للمخرجات؟».

قبل الإجابة عن السؤال السابق، دعنا أولاً نقوم بتحديد عناصر منظومة التعليم في ضوء مفهوم التنمية البشرية، ثم تشكيلها، وذلك ما يظهره الشكل (٢) التالي :



شكل (٢) : منظومة التعليم في ضوء مفهوم التنمية البشرية .

لقد تعمدنا إبراز المستوى الأول لمخرجات منظومة التعليم على أساس أن التعليم يحدث من خلال المدرسة، وهي المؤسسة النظامية، التي تتكفل أساساً بإعداد المتعلمين. وحيث أن المدرسة إحدى مؤسسات المجتمع، فإنها تتأثر بما يحدث في المجتمع، وتمتد تأثيراتها إلى بقية المؤسسات الأخرى، إذ إن مؤسسات المجتمع يجب أن تعمل معاً وفق نسق منظومي. ناهيك عن أن المخرجات على المستوى الأول بمثابة الأساس لإعداد الإنسان الذي لديه الكفاءة في التعامل مع ظروف عصر العولمة، والذي يستطيع أن يواجه هذا العصر.

وبعد أن حددنا بعض المخرجات النهائية لمنظومة التعليم، نتطرق إلى دور الثقافة العلمية والتقنية في تنمية تلك المخرجات، وذلك على النحو التالي :

(١) بالنسبة للشخصية المنتجة :

في هذا الصدد، يجب أن تدعم الثقافة العلمية والتقانية المدرسة، لتكون مدرسة منتجة، وفق الأسس التالية :

- عدم التمييز التقليدي بين العمل العقلي والعمل اليدوي، العمل الإداري والعمل التسويقي .

- تأكيد الارتباط المتزايد بين التعليم والعمل الإنتاجي، لتكون المدرسة أشد ارتباطاً وتفاعلاً واندماجاً مع مواقع العمل والإنتاج .

- تبنى نماذج وصيغ تعليمية جديدة، يتم بموجبها تحويل حياة الإنسان إلى عملية متصلة متداخلة متبادلة بين الدراسة والعمل المنتج .

- إرساء نظرة جديدة لدور المدرسة في المجتمع، وعلاقة المجتمع بالمدرسة، بهدف تحقيق المشاركة الفاعلة بينهما .

في ضوء الأسس التالية، يجب تحقيق الأهداف التالية، التي تسهم في تحقيق الشخصية المنتجة :

- إيجاد آلية جديدة لتوفير فرص حقيقية لتدريب المتعلمين على أدوارهم المستقبلية .

- تدريب المتعلمين على فنون ومهارات الأعمال التجارية، كالتفاوض والتسويق ودراسات الجدوى والتعامل مع ديناميكيات العرض والطلب في السوق وإدارة المشروعات الصغيرة .

- تكريس مفهوم التعلم بالعمل، وتحقيق الربط بين النظرية والتطبيق، وربط المناهج الدراسية باحتياجات البيئة والمجتمع .

- إكساب المتعلمين مهارات عصر المعلوماتية وقيمه، مثل : التخطيط والتنظيم، الدقة والأمانة، الصبر وتحمل المسؤولية، تقدير العمل التعاوني والعمل ضمن فريق، الإنتاج والإدخار واحترام جهد الآخر، الحفاظ على البيئة والتعرف على إمكاناتها ومصادرها، المبادرة والشجاعة في مواجهة الصعاب، الإبداع والابتكار، التفكير في العواقب والتحسب للاحتمالات المختلفة، وتقدير الربح والاستعداد لتقبل الخسارة^(١٢) .

(٢) بالنسبة لتكوين العقلية الناقدة والإبداعية :

في ضوء متطلبات عصر العولمة، الذي يشهد انفجاراً معلوماتياً رهيباً، يجب أن تسهم الثقافة المعرفية والتقانية في تكوين العقلية الناقدة والإبداعية عند المتعلم . ففي وسط

الزخم والفيض المعرفي، لا يمكن للمتعلم أن يحدد مقصده تماماً، وأن يضع حدوداً فاصلة دقيقة بين الصالح والطالح، وأن تكون له رؤية مستقبلية فى ضوء المعلومات المتوافرة لديه... إلخ، دون أن تتكون لديه عقلية ناقدة وإبداعية. فمن خلال آليات النقد، يحدد المتعلم الأساسيات، ومن خلال النشاط العقلى الإبداعي، ينطلق لتحديد الأهداف.

فعلى سبيل المثال، يمكن للمعاملات الناقدة والإبداعية أن تضع تصورات عقلانية وتبريرات شارحة أو موجهة للسلوك الاجتماعى، كذا جمع المعلومات وتنظيمها واستقراء دلالاتها، فى ضوء احتمالات التناسب أو التوافق السببى.

وكمثال آخر، لا يمكن للعقل دون استخدام آلياته الناقدة والإبداعية قبول أهم إفرازات الثورة العلمية الهائلة، التى يشهدها العالم فى وقتنا الحالى، وهى طوفان استنساخ البشر.

(٣) إكتساب المتعلم رؤية مستقبلية :

عندما تسهم الثورة العلمية والتقانية فى إبراز أبعاد النهج العلمى فى التطوير، من حيث التحرك حسب الخطة الموضوعية بحذق وفهم للمتغيرات العالمية والظروف المحيطة، ومن حيث أهمية مشاركة المستويات والنوعيات الإنسانية بالمجهود البناء فى عملية التصور للأحداث، فإنها بذلك تساعد المتعلم على إكتساب رؤية مستقبلية، تكون بمثابة أداة من أدوات صناعة المعلومات والمعرفة المتوقعة، كما تكون أداة مهمة لتحقيق ما يسمى "Zero - Error"، والذى يعنى إنعدام الخطأ بالنسبة للتوقعات المستقبلية.

وبعامة، تسهم الثقافة العلمية والتقانية فى إزالة الضباب، لتجعل أبعاد المستقبل واضحة وظاهرة، بدرجة كبيرة، أمام المتعلمين، فيدركون تأثير الثورة التكنولوجية، كذا تأثير قوة الإتصال الهائلة، سواء أكان ذلك على مستوى الحاضرات المستقبل، وبذلك يستعد المتعلمون لمواجهة المتغيرات، التى قد تفرض عليهم فرضاً، ولمواكبة الواقع غير المحتملة.

وجدير بالذكر أن الثقافة العلمية والتقنية لها دور كبير فى تأكيد دور المدرسة العلمية، التى عن طريقها يمكن تحقيق «الأمن الشفائى»، الذى عن طريقه يمكن التصدى للتحديات المستقبلية، التى قد تهدد الهوية الذاتية، بشتى تجلياتها (اللغوية والعلمية والاجتماعية).

وختاماً، نقول أن الثقافة العلمية والتقنية لها دورها المهم فى الدراسات المستقبلية، لذلك تسهم فى إكتساب المتعلمين الوعى الإيجابى، والإيمان بقدرة الإرادة الإنسانية، فى صنع مستقبل مرغوب فيه، وصياغة أبعاده، وخاصة فى فترات التحول العظمى العالمية.

(٤) تأكيد مهارات الأخلاق ومقوماتها :

من المؤكد أنه في عصر العولمة، حيث سادت القيم المادية وتوحشت تأثيراتها، فإن الأخلاقيات تنحت جانباً أمام الطغيان المادي للأخلاقي في مجمله. وعليه، إن كان هناك أمل، لمحاولة إستنهاض الأخلاق من كبوتها من جديد، فذلك يتوقف على الدور المهم للثقافة العلمية والتقانية.

ويتجلى دور الثقافة العلمية والتقانية من خلال « المنهج الأخلاقي »، الذي عن طريقة يتعلم المتعلمون أخلاق الفرسان، في معاملتهم للآخرين، في السلم والحرب، على السواء. كما، يدركون أهمية الفوز في المباراة (المنافسة) أكثر من أهمية جائزة هذا الفوز، حتى تسود المعنويات بدلاً من الماديات، التي تفشت في الآونة الأخيرة^(١٣).

وتؤكد مهارات الأخلاق ومقوماتها، من خلال الدعوة الجديدة لتفعيل دور « السلام الثقافي »، الذي يجب أن يؤكد أهمية الأمن، والإلتزام، والحرية، وحقوق الإنسان، والمعاملة على قدم المساواة مع الآخرين (المعاملة على أساس الند للند، دون أدنى ضغوط وسيطرة من قبل الآخرين)،... إلخ، وبذلك يظهر الدور المهم والفاعل للثقافة العلمية والتقانية.

(٥) التعامل مع الآخر :

تنبثق أهمية احترام الآخر من أننا نعيش في عالم، لا يستطيع الإنسان فيه أن يعيش بمعزل عن الآخرين. لذلك، فإن العلاقات مع الآخرين، مفروضة على الإنسان فرضاً، سواء رغب الإنسان أو رفض. فالإنسان، عليه أن يتعامل مع الآخرين عن قرب، في الشارع والعمل والنادى... إلخ، أو يتعامل معهم عن بعد، من خلال الإعلام المقروء والمسموع والمرئي.

وفي تعامل الإنسان مع الآخرين، قد لا تتوافق الآراء والتوجهات والاتجاهات والميول والاحتياجات... إلخ، ورغم ذلك، فلا بد من وجود نقاط إلتقاء، حتى لا تحدث خلافات واختلافات، قد تصل إلى حد الكوارث، التي تؤدي بدورها إلى الدمار الشامل.

في ضوء ما تقدم، يظهر الدور المهم للثقافة العلمية والتقانية، في تغيير الذهنية التقليدية، التي تقوم على أساس : « مع أو ضد، صديق أو عدو »، إذ باتت مقاييس التعامل مع الآخر، تتوقف على المصالح المشتركة في المواقف. وبالتالي، فقد يلتقي الفرد فكرياً ومعنوياً ومادياً مع آخر، في موقف بعينه، بينما لا يتحقق ذلك في موقف آخر مع الفرد نفسه.

لذلك، من خلال الثقافة العلمية والتقانية، يمكن للمتعلمين إكتساب أساسيات التعامل مع الآخر، مثل: الاحترام، والتعاون، والثقة، والعمل بجد واجتهاد،... إلخ.

(٦) تقدير احتمالات الربح والخسارة :

من المهم جداً، أن تبرز الثقافة العلمية والتقانية أن الحياة ليست مكسب على طول الخط، أو خسارة على طول الخط. ففي بعض المواقف، يكسب الفرد، وفي مواقف أخرى يخسر. المهم في الموضوع، سواء أكان ذلك في حالة المكسب أم الخسارة، تظل المبادئ والقيم ثابتة، لاتزعزع. فالمكسب، يجب ألا يدعوا الفرد إلى الفخر والتعالى على الآخرين، والحديث معهم من مركز قوة. أيضاً، الخسارة، يجب ألا تدعوا الفرد إلى الحقد والكراهية والفضب، وخاصة أن نواميس الحياة وقوانينها، تقرر عدم استمرارية الخسارة بصفة دائمة.

إذاً، يجب أن تعمل الثقافة العلمية والتقانية جاهدة، من أجل إكساب المتعلمين، التفكير الجيد لتحقيق المكسب، وإعادة التفكير في حالة حدوث الخسارة. فالتفكير وحده هو طريق إدارة الأزمات، وتجاوزها في حالة حدوثها.

(٧) المبادأة والشجاعة في مواجهة المشاكل :

تعرف المشكلة بأنها موقف يجابهه الفرد، فيحاول أن يتجاوزه عن تقديم افتراضات بعينها، يحاول تحقيقها. فإذا استطاع تحقيق ما تقدم، من خلال افتراض ما، يكون قد تجاوز المشكلة^(١٤).

وفي ضوء المعضلات التي يموج بها العالم الآن، فإن المشكلات قد تفرض فرضاً على الفرد، وعليه أن يتعامل معها بذكاء وحنكة وفطنة. وحتى يتحقق ذلك، فإن الثقافة العلمية والتقانية يمكن أن تكون أحد الأساليب الفاعلة، في هذا الشأن، إذ يمكن أن تبرز أن عمليات التغير (وأحياناً التغيير) قد صاحبها صراعات محمومة، في أحيان كثيرة، ولكن بسبب غناء وثرء الحياة ذاتها بالتجارب والخبرات الإنسانية، استطاع الفرد أن يتجاوز تأثيرات تلك الصراعات.

أيضاً، في ضوء القضية التي تشغل بال العالم حالياً، وهي: «هل مكتوب على البشرية أن تعيش وتعايش في ظل صراع الحضارات، أم على أساس التنوع الثقافي؟»، أصبح دور الثقافة العلمية والتقانية أمراً مهماً وضرورياً، لتأكيد لقاء الحضارات، مع أهمية احترام الهويات القومية. وحتى يتحقق الهدف السامي النبيل آنف الذكر، يجب أن تدعم الثقافة العلمية والتقانية المتعلمين، بما يساعدهم على تجاوز مرحلة الإنبهار

بالثقافة الغربية، وبما يؤكد أهمية التفاعل مع الثقافات الأخرى، في الوقت نفسه، دون التمسك بأهداب ثقافة بالية عتيقة، أصبحت لاتناسب العصر، وتقع خارج نطاق اهتماماته.

والسؤال الأخير في هذا الحديث، هو :

على من تقع مسئولية تحقيق أدوار الثقافة العلمية والتقانية؟

إن تحقيق الأدوار الموكولة للثقافة العلمية والتقانية، تقع على عاتق ومسئولية كل فرد، مهما كان مستواه العلمي أو الوظيفي أو الاجتماعي... إلخ، لذلك من الصعب أن نحدد جهة بعينها، دون بقية الجهات، وإن كانت المدرسة يقع عليها عبئاً بالنسبة للمتعلمين. لذلك، من المهم بمكانة أن يكون للثقافة العلمية والتقانية موضعها المناسب، في المواد الدراسية المقررة على المتعلمين.



- (١) مأمون فندى، «جامعات لا حضانات»، جريدة الأهرام، فى ٢٣/٨/٢٠٠٢.
- (٢) يمينى طريف الخولى، «الثقافة العلمية من المنظور الفلسفى»، جريدة الأهرام فى ٢٤/١٢/٢٠٠١.
- (٣) مجدى عزيز إبراهيم، «المنهج التربوى وتاصيل الثقافة العلمية»، المؤتمر القومى حول نمو وتاصيل الثقافة العلمية فى المجتمع (جامعة عين شمس : مركز تطوير تدريس العلوم، ٢٠ - ٢١ أكتوبر ٢٠٠١).
- (٤) عبد الرازق عبد الفتاح، «العلم والتكنولوجيا فى مصر فى القرن ٢١»، فى :
- أسامة الباز (المحرر)، مصر فى القرن ٢١.. الآمال والتحديات، الطبعة الاولى، القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٦، ص ١٣٧.
- (٥) صلاح سالم، «التكنولوجيا والثقافة السياسية فى مصر»، جريدة الأهرام فى ٢٩/٧/٢٠٠٢.
- (٦) يحيى الرخاوى، «دور المثقف : مسئولية لا موسوعية»، مجلة العربى (الكويت)، العدد ٥٢٦، سبتمبر ٢٠٠٢، ص ١٨.
- (٧) إبراهيم نافع، إنفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢، ص ٤٣.
- (٨) السيد ياسين، حوار الحضارات.. الغرب الكونى والشرق المتفرد، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢، ص ٢١ - ٢٤.
- (٩) مجدى عزيز إبراهيم، المنهج التربوى العالمى.. أسس تصميم منهج تربوى فى ضوء التنوع الثقافى، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠١.
- (١٠) محمد شومان، «الإعلام والتنمية فى عصر العولمة»، جريدة الأهرام فى ٢/٩/٢٠٠٢.
- (١١) أسامة الخولى، البيئة وقضايا التنمية والتصنيع، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٨٥، سبتمبر ٢٠٠٢، ص ١٧٣.
- (١٢) سعيد أحمد سليمان، «الأبعاد التربوية والاقتصادية لمشروع المدرسة المنتجة»، جريدة الأهرام فى ١٦/٥/٢٠٠٢.
- (١٣) مجدى عزيز إبراهيم، تنظيمات حديثة للمناهج، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٢.
- (١٤) _____، دراسات فى المنهج التربوى للمعاصر، الطبعة الثانية، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠١.

الفصل الثامن

منظومة تعليم الموهوبين في عصر التميز والإبداع.. إلى أين؟!*

- تمهيد.
- سمات عصر التميز والإبداع.
- منظومة تعليم الموهوبين.
- منظومة تعليم الموهوبين في عصر التميز والإبداع.. إلى أين؟
- خاتمة.

المهبر:

من المعروف أن المهوب شخص متمرد، لا يقبل المألوف، ويعمل على تغييره جذرياً، أو تعديله جزئياً، لذلك قد يرى أن له حقوقاً غير نمطية، يجب أن لا تكون على نفس شكل أو نمط حقوق الناس العاديين.

وما تقدم، لا يعنى أن المهوب يطلب إمتيازات وحقوق شاذة، ولكن يعنى أنه يدرك قيمة نفسه كفرد يقدم مواهبه وإبداعاته وخبراته من أجل المجتمع، لذلك يجب إثابته بقدر ما يقدمه.

والسؤال :

كيف يكافئ المجتمع الفرد المهوب ١٩.

إن الخطوة الأولى تتمثل فى رعاية المهوب طفلاً، من خلال تعليمه التعليم، الذى يتناسب مع قدراته وإمكاناته الذهنية، وعن طريق تهيئة الظروف والإمكانات التى يستطيع الطفل أن يتعامل معها، فيفجر طاقاته الكامنة، ويستدعى ملكاته للعمل الخلاق.

فى ضوء ما تقدم، يركز هذا الحديث جل اهتمامه، نحو دراسة الموضوعات التالية:

* سمات عصر التميز والإبداع.

* منظومة تعليم المهوبين.

* منظومة تعليم المهوبين فى عصر التميز والإبداع .. إلى أين؟

وفيما يلى توضيح للموضوعات الثلاثة السابقة :

أولاً: سمات عصر التميز والإبداع :

يمكن تصنيف أتماط مؤسسات عصر التميز والإبداع، وفق المعايير التالية^(١) :

* من منظور التوزيع الجغرافى :

تتمد مؤسسات عصر التميز والإبداع، لتشمل عضوية من مختلف دول العالم، ومن مختلف القارات و الأقاليم (منظمة العفو الدولية، التحالف العالمى من أجل مشاركة المواطنين « سيفكس »، المنظمة الدولية للجهود التطوعية IAVE).

* من منظور القانونى والمؤسسى :

ويمكن التمييز بين :

- شبكات عالمية، لها إطار مؤسسي مقنن وانتخابات واجراءات لقبول العضوية، لذلك لها نظام قانوني دقيق وغير مفتوحة للجميع.

- شبكات غير رسمية، مفتوحة لكل من يرغب في الإنضمام للنشاط وتحقيق الاهداف المعلنة، وليست لها اجراءات لقبول العضوية أو انتخابات أو شكل قانوني مؤسسي، لذلك لا تمتلك مكانة قانونية.

* من المنظور الزمني (دائم ومؤقت) :

ويرتبط هذا العامل بالمنظور القانوني أو المؤسسي، حيث يكون لبعض الشبكات العالمية صفة الدوام، والبعض الآخر ترتبط بحدث محدد أو هدف معين تحققه وتنقضى بعده.

* من منظور الاحتواء أو الاقصاء :

ويوجد نمطان من الشبكات العاملة في إطار عصر التميز والإبداع، وهما :

- ويركز الأول على نشاط المجتمع المعنيين بقضية معينة، والنشيطين في مجال محدد، ويسعى لتطوير التراكم العلمي والمعرفي في مجال معين.

- والثاني مفتوح وأكثر مرونة، ويضم أهدافاً عريضة يصعب الاختلاف معها، ويهتم بتفعيل مشاركة الفرد، ويؤمن بالثقافة المدنية الديمقراطية، ويهتم بقضية التنمية البشرية.

* من منظور الأهداف :

يمكن أن نفرق بين النمطين التاليين :

- ويسعى الأول إلى الصالح العام أو المنفعة العامة، على المستوى العالمي، ومن نماذجه : المنظمات النشطة في مجال حقوق الإنسان والمرأة والطفولة والبيئة ودعم الديمقراطية والثقافة المدنية.

- ويستهدف الثاني صالح الاعضاء الذين يضمهم، وقد يمتد في اهتمامه إلى القضايا العامة المتصلة بذلك الهدف . ومن نماذجه : الاتحادات العمالية والتجارة العالمية.

* من منظور طبيعة العضوية :

توجد مواقف وأشكال متنوعة من مؤسسات المجتمع العالمي، كما يوجد تعدد كبير في العضوية والنشاط والاستمرار وفي الإطار القانوني، بذلك تحدث فجوة كبيرة بين الإطار القانوني - على المستوى القانون الدولي - وبين الممارسة، مما يتطلب تجاوباً سريعاً مع التغيرات والتطورات التي لحقت بطبيعة عصر التميز والإبداع.

تأسيساً على ما تقدم، يشهد عصر التميز والإبداع تغيرات (وأحياناً تغييرات) متتابعة، في الأدوار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمهنية، على المستوى العالمى. وعليه، يمكن تلخيص أدوار عصر التميز والإبداع، فى الآتى :

- ١- تعبئة الطاقات والإمكانات، على المستويين : المحلى والعالمى.
- ٢- تطوير بناء العلاقات بين الأطراف الفاعلين، على المستويين : المحلى والعالمى.
- ٣- بناء نظام اتصالى، تتعدد فيه الأطراف وتتنوع الثقافات.
- ٤- التأثير فى السياسات العامة والقضايا، من حيث المضمون وتوجهات السياسات محل الاهتمام عن طريق تهيئة المناخ المواتى لأفكارها.
- ٥- العمل كمراكز دعم لتطوير قدرات المجتمع، من خلال تدفق المعرفة، أو من خلال التدريب والبحوث وقواعد البيانات.

ومما هو جدير بالذكر إن متطلبات الدور العالمى لعصر التميز والإبداع، تتجاوز الأيديولوجيات، إذ إنها تنطلق من قيم مشتركة تعترف بالتنوع وتقبله، وتتحرك من أجل النفع العام، ومن أجل الإنسانية كهدف نهائى، مع مراعاة أن تلك المتطلبات لها جوانبها الإنسانية، والسياسية، والاجتماعية، والمعرفية، والثقافية، والمهنية، والتنمية المستدامة^(٢).

وإذا كان التميز والإبداع قد ظهر منهما شذرات متفرقة، خلال عصور غابرة، فإن عصر العولمة يؤكد الوجود الحقيقى للتميز والإبداع، إذ دونهما لا يستطيع الفرد فهم وإدراك مكونات العولمة وتجلياتها وتداعياتها. إذأ، لاغربة فى القول إذا قلنا إن عصر العولمة لهو إنعكاس للتميز والإبداع، أو قلنا أن عصر التميز والإبداع هو المقابل الطبيعى لعصر العولمة، والذى يفسر آلياته أحياناً، ويؤكددها فى أحيان أخرى، فى الوقت نفسه. وبالتالي، فإن عصر التميز والإبداع، أو إذا قلنا مجازاً عصر العولمة، لايعكس فقط مفاهيم نظرية مجردة، أو يعبر عن طوباويات ذهنية تفارق الواقع العيانى المعيش بدرجة كبيرة، وإنما يعكس أيضاً مفاهيم نظرية، ويمتلك آليات تجسيدها عملياً فى آن واحد، كما يعبر عن نموذج واقعى فعلى تقوم دعائمه على آليات سياسية واقتصادية وثقافية وإتصالية.

إذأ، يشير عصرنا الحالى، وأعنى عصر التميز والإبداع، إلى قوة هائلة، استطاعت تحقيق عملية تغيير دراماتيكى كبرى، تحفر مجراها فى مسار التاريخ الإنسانى الراهن، ومن المتوقع أن يصاحب ذلك تغييرات مستقبلية، قد تؤثر على مصير البشرية.

إن عصر التمييز والإبداع، الذي نشهده من حولنا، يمتلك أدوات هائلة التأثير، استطاعت أن تجعل الفرد يتعامل بوعي وذكاء مع عمليات التعدد والإمتداد المكاني لإحداثيات العمليات الاجتماعية، كما تمكنت من ولادة مجال جيو - ثقافي جديد، يسنده نظام ثقافي عالمي (٣).

إذًا، حتى يواكب الفرد عصر التمييز والإبداع، يجب أن يكون لديه القدرة على النفاذ إلى القيم والمبادئ والعلوم والمعارف والثقافات الجديدة، ومن هنا تظهر أهمية منظومة التعليم. فيقدر قوتها وفعاليتها، يتمكن الفرد من التعلم بفهم وحذاقة. هذا عن دور المنظومة بالنسبة للتعليم بعامه، فماذا عن دور منظومة تعليم الموهوبين؟

إن الإجابة عن السؤال السابق، تتطلب أولاً تعريف منظومة تعليم الموهوبين، وتحديد أبعادها، وذلك ما يتحقق في الحديث التالي.

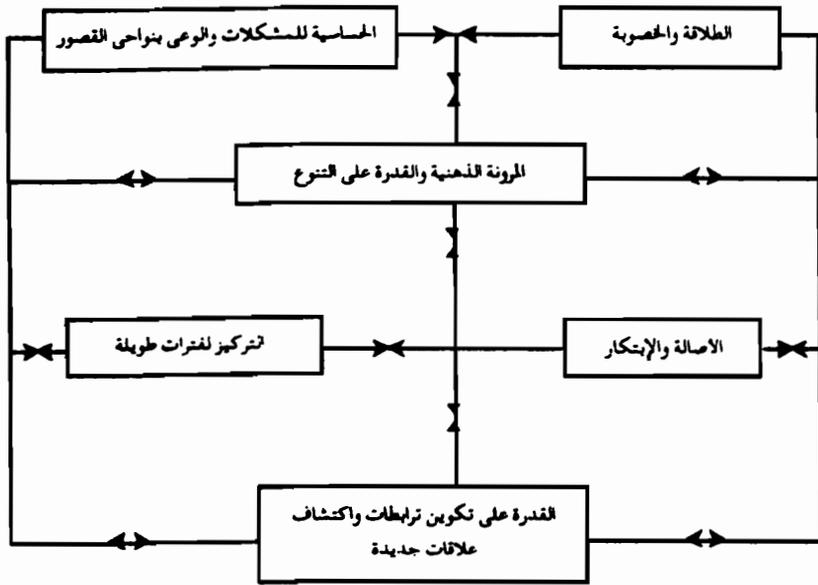
ثانياً : منظومة تعليم الموهوبين :

بادئ ذي بدء، يجدر الإشارة إلى ما يقوله (عبد السعاريه راهيم) بالنسبة لدراسة القدرات الإبداعية :

« ومع ما للقدرات الإبداعية من أهمية، فإن دراستها ومعرفة شروط نموها والعوامل التي تيسر ظهورها، أو التي تعوق هذا الظهور مازالت محدودة بشكل مؤسف، فدراسة المهبة الإبداعية مازالت متروكة لتيارين متطرفين من التفكير، يفرق أحدهما في تعميمات نظرية فضفاضة، وهو التيار الذي تتبناه طائفة كبيرة من المفكرين والفلاسفة ونقاد الأدب والفن، وبعض المنتمين إلى نظريات التحليل النفسي الفرويدية المبكرة، أما التيار الأخرى فيفرق في الاهتمام بجمع وقائع جزئية يتعذر في كثير من الأحيان وضعها في إطار متسق من التفكير والنظر» (٤).

وعلى الرغم من صعوبة دراسة القدرات الإبداعية، وفق ما أبان عنه الحديث السابق، فإن المبدع له سمات ومظاهر، مثل : خصوبة التفكير وسيولته، وتشكيل حالاته الذهنية والعقلية بطرق مختلفة، ووزن العمل وقيمته، والحساسية المرهفة، والقدرة على الإدراك الدقيق للشغرات والإحساس بالمشكلات وإثارتها، وإدراك الروابط الخفية بين الأشياء.. إلخ (٥).

وبعامه، يظهر الشكل التالي منظومة القدرة الإبداعية للفرد :



شكل (١) : منظومة القدرة الإبداعية للفرد الموهوب .

ويمكن تحقيق نظام تعليمي يعمل على تفجير طاقات الإبداع عند المتعلم، بأكثر من طريقة، منها على سبيل المثال :

- * تدريس الإبداع في برامج مستقلة .
 - * تعديل المناهج الدراسية وصياغتها إبداعياً .
 - * خلق مناخ اجتماعي تعليمي يشجع على إثارة القدرة الإبداعية .
 - * التوجيه العام لاساليب الإعلام، ونظم العلاقات الاجتماعية، بما يشجع على الإبداع .
- وأياً كانت الطريقة، التي يتبعها النظام التعليمي، بهدف تحقيق الإبداع، يجب أن تعمل الطريقة على تدريب العقل على التفكير، والتأمل، والتحاور، مع الأخذ في الاعتبار أن التفكير نشاط له جانبان، هما : الاسترجاعي والإبداعي، وهما ضروريان في مختلف مناسط الحياة .

تأسيساً على ما تقدم، يمكن القول بدرجة كبيرة عن الثقة أن منظومة تعليم الموهوبين لاتهمل الجانب الاسترجاعي للنشاط التفكيرى، كما يدعى البعض، وبذلك فإنها تؤكد ثقافة الذاكرة على نفس مستوى تأكيدها لثقافة الإبداع .

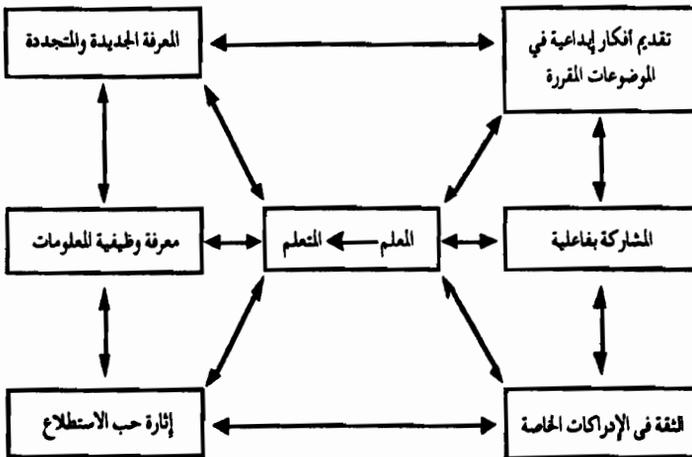
وعليه، يجب أن تصاغ البرامج الدراسية، بحيث تحقق الأهداف التالية :

- إنماء القدرات الإبداعية، وإتاحة الفرص المناسبة لظهورها وتفعيلها.
- تنمية التحصيل، والمعرفة المجردة، والاسترجاع للحقائق المتراكمة.

وبذلك، تتحقق الحكمة في تفعيل العقل عن طريق معرفة الفكر الجديد، بما يؤكد تثبيت الخبرات السابقة.

ويمكن أن تقوم منظومة تعليم الموهوبين على أساس التفاعلات تبادلية التأثير، بين عناصرها التالية، التي تعكس الأدوار التي يجب أن يقوم بها المعلم :

- ١- تشجيع المتعلم لتقديم أفكار إبداعية، بالنسبة للموضوعات التي يتعملها.
 - ٢- تأكيد أهمية مشاركة المتعلم، وتشجيع تلقائته التعبيرية.
 - ٣- تنمية ثقة المتعلم في إدراكاته الخاصة، وأفكاره الشخصية.
 - ٤- إثارة قدرة المتعلم على الإحساس بالمشكلات، أي إثارة حب الاستطلاع، والرغبة في التساؤل والبحث والاستفسار.
 - ٥- إدراك المتعلم للجوانب الوظيفية والفوائد العملية للمعلومات، وارتباطها بالواقع الحياتي.
 - ٦- تعريف المتعلم بالمفاهيم النظرية والقوانين وجوانب معرفة مختلفة، في المجالات الجديدة.
- ويمثل الشكل التالي منظومة تعليم الموهوبين، فيما يختص بأدوار المعلم :



شكل (٢) : منظومة تعليم الموهوبين ، فيما يختص بأدوار المعلم

وفيما يخص أدوار المتعلم الذى لديه سمات وقدرات خاصة، تؤهله ليكون موهوباً، يمكن أن تقوم منظومة تعليم الموهوبين على أساس التفاعلات تبادلية التأثير، بين عناصرها التالية، التى تمكس الادوار، التى يجب أن يقوم بها المتعلم: (٦).

١- الفكر، الذى عن طريقه ينشأ الوعى، الذى يعكس بدوره الإحساس والمعرفة بالذات، والكيانية الخاصة، والقدرة على التفكير العلمى فى شتى صوره.

٢- الإدراك، وهو العملية التى تنظم بواسطتها المستقبلات الحسية، وتشكل فى خبرات ذات معنى، ويتضمن اليقظة والتحرى نحو المؤثر.

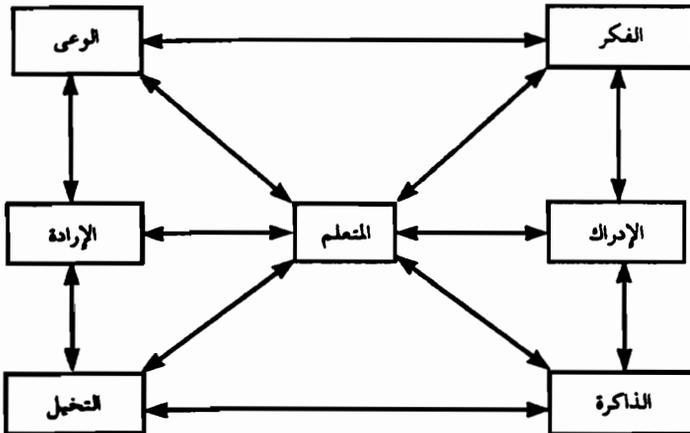
٣- الذاكرة، وتتكون من خلال تخزين المعلومات الواردة إلى الدماغ فى النظام الطرفى Limbic System فى القشرة الدماغية.

٤- التخيل : وهو النشاط العقلى الواعى المتضمن إثارة أفكار أو رؤى لاشياء وأحداث وعلاقات لم يتم اختبارها فعلياً من قبل.

٥- الإدارة، وقد لا تتجاوز حكم الغريزة والجينات فى الباطن، ولكنها تتحقق ضمن مجال من الوعى بالذات يجعل الإنسان يحس بأنه يمتلك حرية الاختيار على المدى البعيد.

ومما هو جدير بالذكر ان الادوار آنفة الذكر لاتخص الموهوب فقط، إذ يمكن أن يقوم بها أى إنسان. ولكن ما يميز المتعلم الموهوب عن نظيره العادى، أن مستوى أداء الموهوب يتحقق بكفاءة، ويكون على مستوى متقدم، فى أغلب الاحوال.

ويمثل الشكل التالى منظومة تعليم الموهوبين، فيما يختص بأدوار المتعلم :



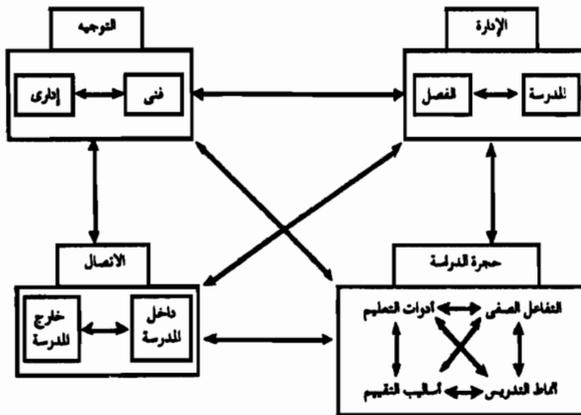
شكل (٣) : منظومة تعليم الموهوبين ، فيما يختص بأدوار المتعلم .

ويجدر الإشارة أنه في شكل (٢) الخاص بمنظومة تعليم الموهوبين، فيما يختص بأدوار المعلم، يتجه السهم من المعلم إلى المتعلم، دون رجوعه من المتعلم إلى المعلم، وقد تعمدنا ذلك، لأن تحقيق علاقة تبادلية التأثير بين المعلم والمتعلم، تتوقف على تشكيل المناخ التربوي، الذي يسهم في نمو القدرات الإبداعية عند المتعلمين.

وبالنسبة لتشكيل المناخ التربوي، فإنه يعتمد على :

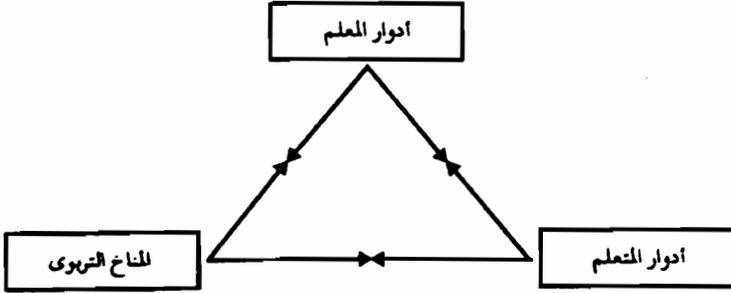
- أسلوب إدارة المدرسة (ديمقراطي / شمولي).
- أسلوب إدارة الفصل (منفتح / مغلق).
- التفاعل الصفي بين المعلم والمتعلم (بدرجة : كبيرة / متوسطة / لا يتحقق).
- أنماط التدريس (حديثة تعتمد على التعلم الذاتي / تقليدية تعتمد على تلقين المعلم).
- أدوات التعليم (متوفرة / غير متوفرة، متطورة / غمطية).
- أساليب التقييم (جزئي / تراكمي).
- أسلوب التوجيه الفني والإداري (ديمقراطي / شمولي).
- أسلوب الاتصال الاجتماعي داخل المدرسة (يتحقق / لا يتحقق).
- أسلوب الاتصال بمؤسسات المجتمع (يتحقق / لا يتحقق).

ويمكن أن تكون منظومة تعليم الموهوبين، فيما يختص بتشكيل المناخ التربوي، على النحو التالي :



شكل (٤) : منظومة تعليم الموهوبين ، فيما يختص بتشكيل المناخ التربوي .

وفي ضوء الأشكال : (٢)، (٣)، (٤)، يمكن تحديد منظومة تعليم الموهوبين في شكلها العام، على النحو التالي :



شكل (٥) : منظومة تعليم الموهوبين في شكلها العام.

وقد يقول قائل أن منظومة تعليم الموهوبين، كما جاءت في شكل (٥)، هي منظومة التعليم في شكلها العام، فما الجديد؟! .

إذا كان الشكل (٥) يعبر عن منظومة تعليم الموهوبين في شكلها العام، لكن ذلك لا يعنى عدم النظر بعين الاعتبار إلى المنظومات الفرعية، كما جاءت في (٢)، (٣)، (٤)، ناهيك عما جاء في شكل (١) الخاص بمنظومة القدرة الإبداعية للفرد الموهوب.

ونظراً لأهمية التفاعل الصفي بين المعلم والمتعلم الموهوب، فإننا نتطرق إلى مصفوفة ذلك التفاعل، على أساس الآتي :

* المعلم :

قد يكون المعلم في أحد الصور التالية :

- نمطى، ولا يعمل بكفاءة (٠، ٠).
- نمطى، ويعمل بكفاءة (١، ٠).
- موهوب، ولا يعمل بكفاءة (س، ٠).
- موهوب، ويعمل بكفاءة (س، ١).

* المتعلم الموهوب :

- موهوب، ولا يهتم كثيراً بما يتعلمه (ص، ٠).
- موهوب، ويهتم بما يتعلمه (ص، ب).

في ضوء التصنيف السابق، يمكن تكوين مصفوفة التفاعل الصفى، على النحو التالى :

مصفوفة التفاعل الصفى للمعلم والمتعلم

	المعلم	المتعلم
(ص ، ب)	(ص ، ص ، ص ، ب)	(ص ، ص ، ص ، ب)
(ص ، أ)	(ص ، ص ، أ ، ب)	(ص ، ص ، أ ، ب)
(س ، ص)	(س ، ص ، ص ، ب)	(س ، ص ، ص ، ب)
(س ، أ)	(س ، ص ، أ ، ب)	(س ، ص ، أ ، ب)

وفى وجود ثلاثة خصائص على الأقل، تمثل دلالات المصفوفة السابقة، فى الآتى :

- المعلم المنطى، ويعمل بكفاءة يسهم فى إظهار موهبة المتعلم.
- المعلم الموهوب، رغم إنه لايعمل بكفاءة، فإن يؤكد موهبة المتعلم.
- المعلم الموهوب، ويعمل بكفاءة، لا يستطيع أن يفعل شيئاً، إذا كان المتعلم الموهوب نفسه، على غير استعداد للعمل.
- المعلم الموهوب، ويعمل بكفاءة، يحقق أقصى ظهور لموهبة المتعلم.

ثالثاً : منظومة تعليم المواطنين فه عصر التميز والإبداع.. إله أين؟

أوضحنا فى أولاً بأن عصرنا يتسم بالتميز والإبداع، لذلك يتطلب التعامل معه قدراً كبيراً، لا يستهان به من الموهبة. وهنا قد يقول قائل : إن عصرنا يسمح بقبول جميع المستويات، بعد ظهور برامج الكمبيوتر الخاصة بالذكاء الاصطناعى .

الحقيقة، تسهم برامج الكمبيوتر الخاصة بالذكاء الاصطناعى فى قبول العصر لجميع الافراد من ذوى الذكاء المتوسط أو المتدنى، من الناحية الإنسانية فقط، حيث يستطيع أى فرد يقع فى تلك الزمرة أن يتعامل مع الآخرين، بدرجة ما من السهولة واليسر. وبذلك، يمكن للآخرين قبوله كفرد إنسانى، يجب عليهم احترامه ومساعدته فى تحقيق حاجاته ومطالبه الاجتماعية.

ولكن، فى ظل عصر التميز والإبداع، الذى يتطلب من الفرد أن يكون لديه قدرة فائقة على استيعاب ثقافة ناسه، بدرجة من الوعى المسئول ومتعدد الجوانب، يكون من الصعب بمكانة أن يتفاعل الافراد العاديين بفاعلية مع هذا العصر.

ومما يؤكد ما تقدم، أن الفرد العادى لا يملك القدرة، التى تمكنه من أن يسهم فى تعميق الإيجابيات وتحريك جماعته لصياغة البنى الأعلى فالأعلى، حيث يمثل ذلك ألف باء عصر التميز والإبداع، وذلك على عكس ما يقوم به الموهوب من إنجازات بالنسبة لتلك البنى، يتحقق عن طريقها درجة من الرقى والإنجاز والقيم الإنسانية، القادرة على العطاء والانتشار.

وعندما نحاول تحديد توجهات منظومة تعليم الموهوبين فى عصر التميز والإبداع، فذلك يجب أن يتم من خلال الأسس التالية :

– تحديد الموهوبين أنفسهم، يمثل الخطوة الأولى لمعرفة مسار تعليم الموهوبين فى عصر التميز والإبداع.

– الوقوف على مدى مناسبة بنية مناهج الموهوبين وتركيباتها، يسهم فى تعليم الموهوبين.

– دور المعلم الموهوب فى تعليم المتعلم الموهوب، هو الأساس فى عصر التميز والإبداع.

– المناخ التربوى الديمقراطى، يسهم فى إتاحة الفرص المناسبة لظهور قدرات المتعلمين الموهوبين.

– التقنيات التربوية الحديثة، تربط المتعلم الموهوب بالأحداث التى تدور فى عصر التميز والإبداع.

– أساليب التقييم، يمكن أن تكون أدوات فاعلة، تسهم فى زيادة فاعلية تعليم المتعلم الموهوب.

– احترام قيمة الوقت، والنظر إليه كشقنية، يحمل على إدارة المواقف التى تظهر فيها إبداعات المتعلم الموهوب بفاعلية.

– توفير المواقف التعليمية خارج المدرسة، يمكن أن تصقل الموهبة، وأن تفجر طاقات الإبداع عند الموهوبين.

وفىما يلى مناقشة الأسس السابقة باختصار شديد، وذلك فى ضوء الواقع الفعلى لمنظومة تعليم الموهوبين :

١- تحديد الموهوبين :

من الناحية النظرية، قمنا بتصميم منظومة تعليم الموهوبين. ولكن، من الناحية العملية، حيث يتم تعليم الموهوبين فى فصول مشتركة، مع نظرائهم العاديين، لا يقوم لتلك المنظومة قائمة، لذلك يتوه الموهوبون فى الزحام، وسط بقية المتعلمين. لذلك، نقول بدرجة كبيرة من الثقة، من الصعب تحديد الموهوبين، فى فصول عالية الكثافة، حيث تصل كثافة بعض الفصول فى المرحلة الابتدائية إلى ٧٠ تلميذاً، وخاصة فى مدارس الأرياف والقرى والنجوع.

٢- مناهج الموهوبين :

يتعلم الموهوبون نفس المناهج المخصصة لتعليم أقرانهم العاديين، رغم ما يتميزون به من قدرات، تساعدهم على تعلم مقررات دراسية متقدمة، تتوافق مع ظروف عصر التميز والإبداع. أيضا، في ظل المناهج المعمول بها، لا يتاح للموهوبين الفرصة لتعلمها بالطريقة، التي تجعلهم يبدعون من خلالها.

٣- المعلم الموهوب :

نادراً، ما يوجد وسط العدد الهائل من المعلمين، معلمون موهوبون بفطرتهم وطبيعتهم. أيضا، لا يتم إعداد المعلمين بأساليب تساعد على إظهار مواهبهم الإبداعية، إذ يتم تعليمهم بأساليب وطرائق تصنع من المجتهدين منهم معلمين أكفاء في مهنة التدريس، أي معلمين يجيدون فنيات التدريس وآلياته فقط، دون إظهار مواهبهم الحقيقية.

وإذا فرضنا وجود بعض المعلمين الموهوبين، وهذا صحيح بالطبع، فإن مواهب هؤلاء المعلمين لا تظهر، بسبب إنشغالهم بظروفهم الخاصة، وبسبب ضغوط العمل المفروضة عليهم، والتي تسبب لكثيرين منهم الإجهاد الجسمي والنفسي، والملل والسأم من ممارسة مهنة التدريس ذاتها.

٤- المناخ التربوي الديمقراطي :

لا يتوافر هذا المناخ في ظل عمليات التوجيه التربوي السلطوي العليا، حيث يخضع عمل المعلم للمتابعة من أكثر من جهة تربوية وغير تربوية، فهناك المتابعة على مستوى السلطات المحلية، ناهيك عن اللجان التي ترسلها الوزارة لمتابعة العمل في المدارس. حقيقة، ينبغي أن لا يهتز أداء المعلم بسبب المتابعات آنفة الذكر طالما أنه يعمل بضمير واجتهاد وثقة في النفس، لكن إحساسه بأنه مرصود من قبل الآخرين، وكأنه متهم دائما، يصيب المعلم بخيبة الأمل في أن ينطبق عليه تشبيه (أحمد شوقي) : « كاد المعلم أن يكون رسولا ». أيضا، التهديد المستمر بنقل المعلم من مدرسته، أو نقله إلى محافظة أخرى، لأنه يعطى دروساً خصوصية، يجعله يجد ألف طريقة وطريقة للتحويل، للخروج من هذا المازق، حيث يؤدي فقط المطلوب منه في الحصة الدراسية بأسلوب غطى، دون اهتمام يذكر بالمتعلمين، لتحديد ما إذا كان بينهم موهوبين، يحتاجون لرعاية خاصة، أم لا.

٥- التقنيات التربوية المعاصرة :

المدش في الأمر، يوجد في عدد كبير من المدارس أجهزة كمبيوتر، ورغم ذلك، لا يتوافر بها أساسيات المواد التعليمية المساعدة أو المعينة، حيث تعجز ميزانيات المدارس عن

توفير الأدوات، التي يمكن للمتعلمين، وخاصة المهوبين منهم، استخدامها في إعداد اللوحات أو البطاقات التعليمية. ويمكن القول بدرجة كبيرة من الثقة، لا يوجد في غالبية المدارس، على جميع مستوياتها، معامل للوسائل التعليمية.

٦- أساليب التقييم :

من منطلق أن العملية التعليمية تقوم على أساس التلقين من قبل المعلم، والحفظ من قبل المتعلم، فإن أساليب التقييم في مجملها، توجه جل اهتمامها نحو ما حصله المتعلم. وعليه، فإن عملية الاستظهار لا تكشف مطلقاً قدرات الإبداع عند المتعلم. والغريب، إن بعض المعلمين يصنفون بعض المتعلمين من ذوى التحصيل المرتفع، بأنهم من المهوبين. ولكن، ذلك بجافى الحقيقة بدرجة كبيرة، إذ نجد بعض المتعلمين ممن حصلوا على الثانوية العامة بمجاميع تزيد عن ٩٥٪، يفشلون في تعليمهم الجامعى.

٧- الوقت :

في مجتمعنا، يمثل الوقت معضلة كبرى للمتعلمين ولغير المتعلمين، على حد سواء، بسبب عدم تعلمهم كيفية إدارة الوقت. والنتيجة الطبيعية أن المتعلم العادى الذى يستطيع إدارة الوقت بكفاءة، ينجز بكفاءة عالية في تعليمه، وفي عمله المستقبلى، مقارنة بقرينه المتعلم المهوب، الذى لم يتعلم أساليب إدارة الوقت، مع الأخذ في الاعتبار أن العملية التعليمية بتوجهاتها الحالية، لاتعير أدنى اهتمام للهدف السابق.

٨- مواقف التعليم خارج المدرسة :

تعمل المدرسة بمعزل عن بقية المؤسسات المجتمعية الأخرى، بسبب عدم وجود قنوات إتصال معها. لذلك، من النادر جداً، تحقيق مواقف تعليم حقيقية خارج المدرسة، رغم إن مواقف التعليم خارج المدرسة، يمكن أن تساعد المدرسة في التنبؤ الواقعى لحقيقة إبداعات المتعلم. فمثلاً، قد يكون المتعلم موهوباً في ناحية ما، غير تلك التى يتعلمها في المدرسة، ولكن ذلك لا يظهر للمعلمين، لعدم وجود اتصال بين المدرسة والمجتمع.

خلاصة القول :

رغم إننا نعيش في عصر التميز والإبداع، فإن وجود منظومة لتعليم المهوبين أمر مشكوك فيه. وإذا نظرنا إلى المهوبين كأفراد، فإنهم يتعلمون في طريق مسدود، يصعب تجاوزه في أغلب الأحوال، وبالتالي فإن نسبة كبيرة منهم تفقد مواهبها على الطريق، أو يتم وأدها في مهدها.

خاتمة:

يُظهر الحديث السابق إنه من الصعوبة تحديد المتعلمين الموهوبين، بسبب كثافة الفصول العالية، وخاصة في المرحلة الابتدائية. وتكمن المشكلة الرئيسة في عوامل ترتبط بقضية الموهوبين بصورة مباشرة، مثل: عدم توفر أدوات وقياسات يمكن عن طريقها تحديد الموهوبين المبدعين، وظروف المعلم النفسية والاجتماعية التي تحول دون الاهتمام بالبحث عن الموهوبين ورعايتهم، وأساليب إدارة المدرسة والفصل على أساس سلطوى علوى يجب الإلتزام به من قبل جميع أطراف العملية التربوية التعليمية،... إلخ.

أيضا، يُشير الحديث السابق إلى أن مجال تعليم الموهوبين من مدخل منظومى، يتطلب العديد والعديد من الدراسة، وفقاً لتغيرات عصر التميز والإبداع الكثيرة والمتلاحقة. وفي هذا الصدد، يمكن إجراء دراسات وبحوث عديدة، نذكر منها كنماذج فقط، ما يلى:

- منظومة تعليم الموهوبين فى ظل أخلاقيات عصر التميز والإبداع.

- منظومة تعليم الموهوبين فى ضوء نظام تربوى ديمقراطى.

- منظومة تعليم الموهوبين داخل المدرسة وخارجها.

- منظومة تعليم الموهوبين باستخدام التقنيات التربوية المتقدمة.

- منظومة تعليم الموهوبين فى ضوء الأوضاع المادية والاجتماعية المتردية للمعلم.

- منظومة تعليم الموهوبين فى ضوء تحديات العصر.

- منظومة تعليم الموهوبين على أساس التنوع الثقافى، ولقاء الحضارات.

إن النماذج السابقة، وغيرها من نظيراتها الكثيرة فى مجال منظومة تعليم الموهوبين، يجب الاهتمام بها، وسرعة دراستها، وخاصة أن الموهوبين هم عدة وعتاد أى مجتمع إنسانى، كما أنهم حاضر هذا المجتمع ومستقبله فى آن واحد.

المراجع

- (١) بيتر. ت. موكلينسكى، ترجمة محمد على ثابت، «حقوق الإنسان والشركات متعددة الجنسيات : هل هناك مشكلة؟»، مجلة الثقافة العالمية (الكويت)، العدد ١١٢، مايو - يونيو ٢٠٠٢.
- (٢) أماني قنديل، المجتمع المدني العالمي، القاهرة : مركز اندراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٢.
- (٣) بركات محمد مراد، «العولة.. ذلك المفهوم المراوغ»، مجلة العربي (الكويت)، العدد ٥٢٦، سبتمبر ٢٠٠٢.
- (٤) عبد الستار إبراهيم، الحكمة الضالمة.. الإبداع والاضطراب النفسى والمجتمع، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٨٠، إبريل ٢٠٠٢.
- (٥) _____، الإبداع : قضاياها.. وتطبيقاته، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٢.
- (٦) محمد على وردم، «المخ ضد الشمولية»، مجلة العربي (الكويت)، العدد ٥٢٦، سبتمبر ٢٠٠٢.

الفصل التاسع

الجدوى الاقتصادية لتعريب مقررات منظومة التعليم الجامعى فى عصر العولمة

• تمهيد.

• الترجمة والتعريب.

• واقع مقررات منظومة التعليم الجامعى على مستوى البكالوريوس والليسانس.

• واقع مقررات منظومة التعليم الجامعى على مستوى الدراسات العليا.

• التعريب فى عصر العولمة.

• الجدوى الاقتصادية لتعريب مقررات منظومة التعليم الجامعى.

• خاتمة.

المهيم:

تواترت في الفترة الأخيرة الأحاديث التي تدور حول تعريب العلوم، وذلك من منطلقين، أولهما: قومي بحت؛ يرى أن المصريين أصحاب حضارة تجاوزت سبعة آلاف عام، وأن العالم بأسره مازال يبحث في بعض الأسرار والألغاز، التي تركها الأقدمين، كشواهد شامخة على علو قامتهم العلمية، بحيث لم تصل الأجهزة الدقيقة والنظريات الحديثة، إلى كشف ستارها بعد. وثانيهما: ينبثق من موقف مضاد للغرب، على أساس أن تدريس العلوم باللغات الأجنبية فيه مهانة، لأن أصحاب هذه اللغات، لم يكونوا أبداً أصدقاء للامة العربية، وإنما حاولوا دوماً إستغلالها، ونهب ثرواتها وخيراتها.

أولاً: الترجمة والتعريب :

الترجمة تعنى النقل الدقيق للنص من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية، دون تدخل يذكر من المترجم، غير أنه أحيانا يشير إلى تغيير الأسماء، بما يتوافق مع الأسماء العربية الشائعة، كأن يغير المترجم إسم (جون) إلى إسم (أحمد). وفي هذه الحالة، يشير المترجم إلى الإسم الذي جاء في النص الأصلي.

أما التعريب، فإنه يقوم على أساس المحافظة على روح النص بدرجة كبيرة، وإن كان المرعب يمكنه الإضافة أو الحذف في الموضوع الذي ينقله إلى اللغة العربية. بمعنى؛ يكون للمرعب حرية بدرجة ما، في تحقيق بعض التعديلات، أو إضافة بعض الفقرات، ويقوم بالتعليق على هذه التعديلات والإضافات، موضحاً المبررات التي تدعوه إلى ذلك.

وعلى أية حال، سواء كانت العملية في صورة ترجمة أو تعريب، فإن القصد منها، النقل إلى اللغة العربية، كلفة قومية لنا.

ثانياً: واقع مقررات منظومة التعليم الجامع على مستوي البكالوريوس والليسانس:

بالنسبة للمقررات والمواد الدراسية، التي يتم تعليمها في الكليات النظرية (الآداب، الحقوق، التربية، الإعلام، الاقتصاد والعلوم السياسية، التجارة... إلخ)، لا توجد أية مشكلة بالنسبة لقضية تعريب العلوم على مستوى البكالوريوس والليسانس، إذ يتم تقديم جميع المقررات والمواد الدراسية باللغة العربية، بإستثناء مادة دراسية واحدة، يتم أحيانا تدريسها باللغة الأجنبية، تحت مسمى: مقرر دراسي ثقافي، أو نصوص باللغة الإنجليزية في مادة التخصص، أو لغة أجنبية، أو... إلخ.

وبالنسبة لتعريب العلوم في الكليات العملية، مثل: العلوم، والطب، والهندسة، والصيدلة... إلخ، فالتدريس فيها يأخذ أحد المنحيين التاليين:

(١) التدريس باللغة الأجنبية لجميع الموضوعات، بكامل تفصيلاتها .

(٢) التدريس باللغة العربية ، مع كتابة المصطلحات والمعادلات والرموز باللغة الأجنبية .

وسواء يتم التدريس بأى من الطريقتين، فإنه لا يمثل مشكلة بالنسبة لطلاب الكليات العملية، لأنهم يتعاملون مع هذا الوضع من بداية الطريق حتى نهايته، بالحصول على درجة البكالوريوس .

أما المشكلة الحقيقية، فتتمثل فى بعض الكليات النظرية، التى تتضمن لائحتها، تدريس بعض المواد الأكاديمية العلمية، مثل : الرياضيات والفيزياء والكيمياء والصحة العامة والإحصاء .. إلخ، إذ يتم التدريس باللغة العربية، مع كتابة المصطلحات والمعادلات والرموز باللغة الأجنبية، وذلك يمثل مواقف عويصة لغالبية الطلاب، وخاصة الطلاب الحاصلون على شهادة إتمام الثانوية العامة (القسم الأدبى) .

ثالثاً : واقع مقررات منظومة التعليم الجامعي على مستوي الدراسات العليا:

تتطلب الدراسة على مستوى الدراسات العليا، الانفتاح على العالم، عن طريق شبكات الإنترنت، للوقوف على أحدث البحوث والقضايا العلمية . وللأسف، يمثل هذا الانفتاح، مشكلة محيرة جداً بالنسبة للذين لا يمتلكون ناصية الأمور بالنسبة للتمكن اللغوى الأجنبى، وبالنسبة لمعرفة أساليب إستخدام الكمبيوتر، وجلب المعلومة عن طريق إنترنت .

حقيقة، قد لاتعانى نسبة كبيرة من خريجي الكليات العملية، من مشكلة اللغة وإنترنت، بسبب تأسيسهم اللغوى الأجنبى، يتم بدرجة معقولة أثناء الدراسة، أو بسبب تعاملهم من الكمبيوتر فى دراستهم أوفى حياتهم العملية، أما، خريجي الكليات النظرية، الذين يرغبون فى الحصول على درجات دراسية عليا (دبلوم - ماجستير - دكتوراه)، فإنهم يعجزون تماماً عن التعامل مع المصادر والكتب الأجنبية الموجودة فى المكتبات، ومع المعلومات التى يمكن الحصول عليها عبر شبكات إنترنت . وفى كلتا الحالتين، يضطرون إلى جلب المعلومة عن طريق الآخرين ، ثم البحث عنم يقوم بترجمتها لهم، للاستفادة منها فى المهام المطلوبة منهم .

والمأساة الحقيقية، تتمثل فى بعض المعيدى والمدرسين المساعدين، من الحاصلين على درجات الليسانس فى اللغة الإنجليزية، إذ يفشلون فشلاً ذريعاً فى اختبار توفل **Toefl**، المطلوب اجتيازه، كشرط أساسى لإستكمال الدراسة فى الولايات المتحدة الأمريكية، فيضطرون إلى تعديل بعثاتهم إلى دول أخرى، تتساهل فى شرط اجتياز إختبار توفل **Toefl**، ولا تعليق بعد ذلك .

رابعاً : التعريب فه عصر العولمة :

دون الدخول فى متاهات توصيف عصر العولمة، ودون الإدعاء بأننا نعيش عصر الامركة، على أساس أنها تمثل الفارس الوحيد فى الميدان ، ودون .. ودون .. إلخ، فإننا لا يمكن أن ننكر أن العولمة قائمة، ولها وجودها الحقيقى، وتقوم على أساس إمكانية التلاقى وجها لوجه مع الآخر. بمعنى؛ يفرض عصر العولمة علينا بالتحاح وللمجاعة، التعامل مع الآخر، بشرط أن يتم هذا التعامل من منطلق : «إذا أردت أن أحترم ثقافتك، فعليك أن تحترم ثقافى أولاً» .

أيضاً، فى عصر العولمة، وهذا هو المهم فى موضوعنا، هناك دعوة قوية، لها صداها المباشر حالياً على نوعية التعليم وجودته، تقوم على أساس مدارس وجامعات بلا أسوار أو جدران .

وفى ظل الدعوة السابقة، كى يفهم الفرد الآخر، ويتعلم منه، ويعلمه، فى الوقت نفسه، عليه أن يتصل به أولاً، ثم يقيم معه حواراً مباشراً . وبالطبع ، فإن هذا الإجراء مهم للغاية، فى تأكيد الذاتية الثقافية. ولكن ، إذا إتصل الفرد بالآخر، وفشل فى إقامة حوار معه، فإما يخلق سريعاً قنوات الإتصال بينه وبين الآخر، أو يتأثر به، منبهراً بما وصل إليه ، وبما حققه من إنجازات .

وعلى صعيد آخر، إذا أخذنا فى الإعتبار، أن الآخر هو مصدر التدفق المعلوماتى، بسبب ثورة المعلومات التى حققها فى الثلاثين سنة الاخيرة، وبسبب تخلصنا بإرادتنا أو بغير إرادتنا عن الركب العلمى، نجد أن الآخر أصبح مهما بالنسبة لنا من الناحية العلمية، سواء شغنا أو أبينا . وحتى يمكن التعامل مع الآخر ، علينا أن نفهم لغة الآخر، ومن هنا تتجلى أهمية تدريس العلوم بلغتها الأصلية .

أخيراً، بسبب التدفق المعلوماتى، فى عصر العولمة ، وفى وجود الكمبيوتر والإنترنت، أصبحت هوية الأعمال وطبيعة الوظائف، تتجاوز المحلية وتتطلب الإنفتاح إلى العالم الخارجى، من خلال نوافذ اللغات المختلفة ، لذا أصبح التكالب على دورات اللغات الأجنبية، ظاهرة لها وجود حقيقى، إذ دون التمكن الكامل فى لغة أجنبية أو أكثر لا يستطيع الفرد الحصول على مهنة أو عمل مناسب .

ولعل ذلك كان وراء ظهور شعب فى بعض الكليات (على سبيل المثال : التجارة والحقوق)، تتم الدراسة فيها باللغة الانجليزية أو الفرنسية ، بالنسبة لجميع المقررات، ويتم القبول فيها بمجموع أعلى من مجموع القبول لنظيراتها، التى يدرس الطلاب فيها باللغة

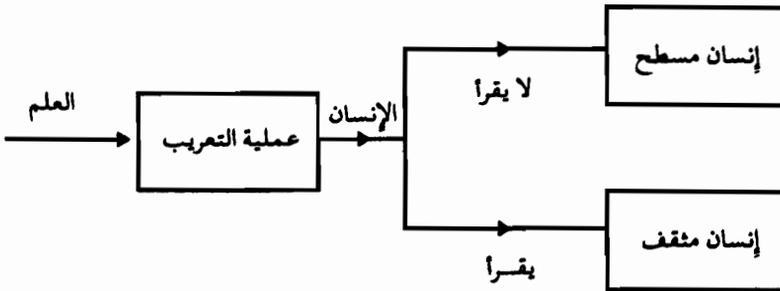
العربية. وأحياناً، يرفض بعض الطلاب الإلتحاق بكلليات عملية، ويلتحقون بالشعب التي يتم التدريس فيها باللغة الإنجليزية، في بعض الكليات النظرية، على أساس إمكانية حصولهم على وظيفة مقبولة، بعد التخرج. وفي المقابل، يضطر بعض الخريجين، ممن درسوا باللغة العربية في الجامعة، لأخذ دورات في بعض اللغات الأجنبية، من أجل تحقيق التساوى مع نظرائهم الذين درسوا باللغة الأجنبية، بالنسبة لفرص العمل. وعليه، فإن فكرة تعريب العلوم في التعليم العالي، تكون فكرة مجموعة بدرجة كبيرة، في ظل التنافس العالمي، وفي ظل متطلبات سوق العمالة. وبالعكس، ينبغى التفكير جدياً، من أجل رفع مستوى خريجي الجامعات، في اللغات الأجنبية، دون إهمال لغتنا العربية القومية. بمعنى؛ إذا أردنا أن نهتم باللغة الأجنبية، فلا يكون ذلك على حساب اللغة العربية، بل يكون من خلال الخطط التي تحقق المنحيين معا.

خامساً: البدوه الاقتصادية لتعريب مقررات منظومة التعليم الجامعي:

من منطلق المنهج المنظومي، على أساس المدخلات والمخرجات، يمكننا أن نفرق بين تعريب العلوم، كهدف ثقافي وكهدف دراسي، من خلال الشكلين التاليين:

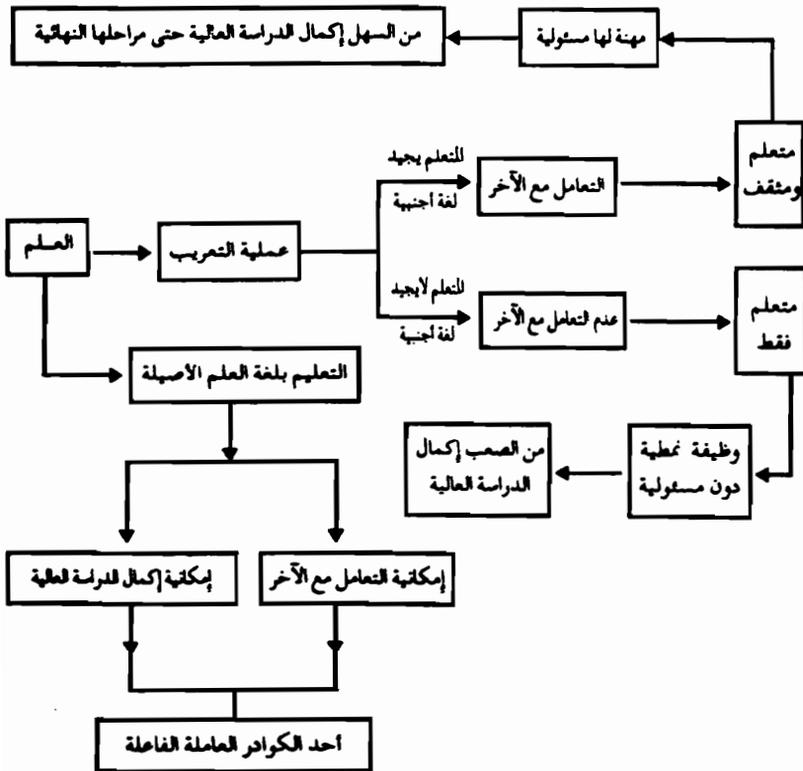
أولاً:

تسهم عملية التعريب في إنتاج الانسان المثقف، إذ كان يمتلك موهبة القراءة بفهم، أو على أقل تقدير، يمارس عادة القراءة. أما الإنسان، الذي لا يقرأ، فلا تعنيه من قريب أو من بعيد عملية التعريب. وحيث أن نسبة كبيرة من الافراد، تعاني من الأمية الثقافية، رغم حصولهم على درجات علمية، فإن التكلفة الاقتصادية لعملية القراءة، تذهب هباءاً منثوراً، أو مع أدراج الرياح.



ثانياً :

فى ضوء ما تقدم ، فإن تعريب العلوم ، يجانب تكلفته المادية العالية، ويفرض وجود الكوادر المتخصصة التى تستطيع تحقيق هذا العمل بكفاءة وجودة مرتفعتين، لن تكون له جدوى إقتصادية على المستوى البعيد، وخاصة أن لغة العلم عالمية المنشأ ، كما تتطلب عملية تعلم العلم ذاته، الوصول إلى منابعه، طالما لا تتوفر المنابع لدينا .



مخالفة:

قد يعتقد البعض خطأً أن الحديث السابق، يدعو إلى إنتعاعات وتواصلات خارجية قد تهز الثقافة القومية ذاتها . والحقيقة ، غير ذلك تماما، إذ يدعو الحديث السابق إلى أهمية وضرورة أن نكون من مصادر المعلومات، وليس من مستوردي المعلومات . وعندما يتحقق هذا الغرض النبيل، والهدف السامي، فإننا لانتجاجة إلى الآخر، إلا في أضيق الحدود، وربما يحتاج الآخر إلينا، وبذا تكون السيادة لثقافتنا، والهيمنة لهويتنا العلمية .

أيضاً، لحين ما يأتي الوقت لنكون من مصدري المعلومات، فإن ما نخشاه من حركة التعريب، والتي تعطى العرب حرية التصرف بدرجة ما في النص ، أن يتجاهل العرب المصطلحات الموجودة في النص الأجنبي خلال عملية التعريب، فلا يذكرها بجانب نظيراتها العربية، وذلك قد يسبب خلطاً عظيماً الشأن، وخاصة إذا كان التعريب غير دقيق أو حرفياً لا يعطي معلومات كافية عن المصطلحات الأجنبية، مما يعطي الفرصة لفهم دلالة المصطلح الأجنبي، بأكثر من طريقة ومنهج، تبعا لهوية العرب ونظامه، ولعل التجارب السابقة في مجال التعريب لهي خير دليل، حيث يختلف معنى ودلالة المصطلح الواحد في الدول العربية، باختلاف النظام السياسي والمضمون الثقافي في كل دولة على حدة .